

استعمال التحليل الموضوعاتي في علم النفس

تأليف:
فرجينيا براون و فيكتوريا كلارك

ترجمة:
عبد المجيد سعيد

2024

www.mominoun.com

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 30 يناير 2024

استعمال التحليل الموضوعاتي في علم النفس[1]

تأليف: **فرجينيا براون** و **فيكتوريا كلارك**
ترجمة: **عبد المجيد سعيد**

---

1 - مصدر النص:

Virginia Braun & Victoria Clarke (2006) Using thematic analysis in psychology, Qualitative Research in Psychology, 3:2, 77-101, DOI: 10.1191/1478088706qp063oa

الملخص

يَفتقر التحليل الموضوعاتي إلى التحديد، ونادرا ما يحظى بالاعتراف؛ ومع ذلك، فهو منهج تحليلٍ كيفي منتشر الاستعمال في علم النفس. وفي هذه المقالة، سنحاجُّ بأنه يوفر مقاربة نظرية مرنة وقريبة المنال لتحليل البيانات الكيفية والولوج إليها، وسنوضح ماهيته، ونموقعه أولا بين مناهج التحليل الكيفي الأخرى الباحثة عن موضوعات أو أنماط، وثانيا بين المواقف الإبستمولوجية والأنطولوجية المختلفة. ثم سنُقدِّم إرشادات واضحة للراغبين في الشروع فيه أو إجرائه على نحو متأنٍّ وصارم، وسنكشف المزالق التي قد يقع فيها من يُجري تحليلا موضوعاتيا؛ وأخيرا، سنحدد عيوبه ومزاياه، ونختم مقالتنا بمناصرة التحليل الموضوعاتي بوصفه منهجا مفيدا ومرنا للبحث الكيفي في علم النفس وخارجه.

استعمال التحليل الموضوعاتي في علم النفس

يَفتقر التحليل الموضوعاتي thematic analysis إلى حدود مُرَسَّمة، ولا يحظى بالاعتراف إلا فيما ندر؛ ومع ذلك، فهو من مناهج التحليل الكيفي qualitative المستعمَلة على نطاق واسع (Boyatzis, 1998؛ Roulston, 2001) في علم النفس وخارجه. وبوصفنا باحثين وأساتذة علم نفسٍ كيفي، فإن غايتنا من هذه المقالة paper هي سدُّ فجوة لمسنا وجودها من واقع خبرتنا، ألا وهي غيابُ مقالةٍ توضح توضيحا كافيا نظرية التحليل الموضوعاتي وتطبيقاتها وسبل تقييمها، أو مقالة تنجِز ذلك بطريقة قريبة المنال مِن الطلاب عامة، ومَن تَنْقُصهم الألفة بالبحث الكيفي خاصة[1]؛ أي إن غايتنا هي كتابة مقالة مفيدة، تكون بمنزلة أداة تعليمية وبحثية في علم النفس الكيفي. ولهذا، سنناقش نظرية التحليل الموضوعاتي ومنهجه، ونوضح أوجه التشابه والاختلاف بينه، وبين المناهج المختلفة التي تُشاركه سمات مشتركة.

المناهج الكيفية متنوعة ومعقدة على نحو مذهل، وكذلك هي الفروق الدقيقة بينها (Holloway and Todres, 2003). ومع ذلك، ينبغي النظر إلى التحليل الموضوعاتي بوصفه منهجا تأسيسيا للتحليل الكيفي؛ فهو أول مناهج التحليل الكيفي التي يجب على الباحثين تَعلُّمها؛ لأنه يوفِّر المهارات النووية التي ستكون مفيدة لإجراء العديد من ضروب التحليل الكيفي الأخرى. وقد عرَّف هولواي وتودرس Holloway & Todres (2003: 347) «موضعة المعاني*[2]» thematizing meanings بأنها واحدة من المهارات العامة المعدودة التي تشترك فيها مختلف ضروب التحليل الكيفي. ولهذا السبب، وسَمه بوياتسيس Boyatzis (1998) بأنه ليس منهجا قائما بذاته، وإنما أداة تُستعمل عَبْر*[3] across مناهج مختلفة[4]. وعلى نحو مماثل، حَدَّد ريان وبرنارد Ryan & Bernard (2000) الترميز الموضوعاتي بأنه سيرورة تمارَس ضمن*[5] within التقاليد التحليلية «الرئيسة» (مثل النظرية المُجَدَّرة grounded theory)، دون أن يكون مقاربة محدَّدة قائمة بذاتها. أمّا نحن، فنرى خلاف هذا، وسنحاج عن وجوب عَدِّ التحليل الموضوعاتي منهجا قائما بذاته.

---

1 يقدم (Boyatzis 1998) وصفاً أكثر تفصيلاً للتحليل الموضوعاتي؛ ومع ذلك، لا نشعر بأن ما يقدمه مُيَّسر للمبتدئين في دراسة المقاربات الكيفية، بإضافة إلى أن مقاربته تختلف عن مقاربتنا. وعلى الرغم من اعترافه بالبعد الذاتي للتحليل الكيفي، فإن مقاربته تقع في نهاية المطاف، وإن بشكل ضمني في كثير من الأحيان، ضمن نموذج تجريبي وضعاني positivist empiricis.

2* (الإحالات المقرونة بنجمة (*) من وضع المترجم) أي القدرة على وضع المعاني وتجميعها في موضوعات.

3* حيثما وردت كلمة «عبْر» في النص فهي ترجمة لكلمة across، الدالة على معان متعددة في لغتها الأصلية، أهمها: العبور من جهة إلى أخرى، وتغطية منطقة كاملة، كقولنا: «كورونا مرت عبر مختلف مدن البلد وقراه»، أي اخترقت وحضرت وشملت أنحاء مدنه وقراه كافة. انظر:

Definition of across from the Cambridge Academic Content Dictionary © Cambridge University Press. Accessed 11 Feb. 2023

4 يعزز بيان داي (1993) عن «تحليل البيانات الكيفية»، والذي يهدف إلى تحديد التقنيات المشتركة العابرة لمجموعة متنوعة من المناهج، وتوضيح كيفية إجراء «التحليل الكيفي»، هذه الفكرة بخصوص أن تركيزه هو إلى حد بعيد موضوعاتي - ولكنه لا يدعيه على هذا النحو.

5* حيثما وردت كلمة «ضِمن» في النص فهي ترجمة لكلمة within، التي تعني في لغتها الأصلية : داخل شيء ما، أو في غضونه أو في حدوده (الزمانية، المكانية، الاعتبارية...) لا تتعداه. انظر:

Definition of within from the Cambridge Academic Content Dictionary © Cambridge University Press. Accessed 11 Feb. 2023.

تكمن إحدى مزايا التحليل الموضوعاتي في مرونته [وقدرته على التكيف مع مختلف المناهج الكيفية]. وهذه المناهج يمكن تقسيمها إلى نحو معسكرين:

– المعسكر الأول، تقع ضمنه المناهج المرتبطة بموقف نظري أو معرفي معين أو الناشئة عنه، وبعضها _ كتحليل المحادثة (CA؛ مثل، Hutchby and Wooffitt، 1998) والتحليل الظاهراتي التأويلي (IPA؛ مثل، Smith and Osborn، 2003) _ لا يملك (حتى الآن) إلا تنوعا محدودا نسبيا في كيفية تطبيق المنهج الكيفي ضِمْنَ إطارها؛ إذ حاصل أمرها أن التحليل يَسترشد بوصفة واحدة. أمّا بعضها الآخر _ كالنظرية المُجَدَّرة (Glaser، 1992؛ Strauss and Corbin، 1998)، وتحليل الخطاب (DA؛ مثل، Burman and Parker، 1993؛ Potter and Wetherell، 1987؛ Willig، 2003) وتحليل السرد (Murray, 2003; Riessman, 1993) _ فيملك تمظهرات مختلفة للمنهج الكيفي من داخل الإطار النظري العام.

– المعسكر الثاني، تقع ضمنه المناهج المستقلة أساسا عن أي نظرية أو إبستمولوجيا بعينها، والتي يمكن تطبيقها عَبْرَ مجال من المقاربات النظرية والإبستمولوجية المختلفة. ومع أن التحليل الموضوعاتي كثيرا ما يصوَّر (ضمنيا) بوصفه منهجا واقعيا\تجريبيا (Aronson، 1994؛ Roulston، 2001)، فإنه، في واقع الأمر، راسخ بقوة في المعسكر الثاني، ويتوافق مع كل من البارديغمات الماهوية essentialist والبنائية constructionist في علم النفس (نناقش هذا لاحقا)؛ فهو بفضل تحرره النظري يوفر أداةَ بحثٍ مرنة ومفيدة، يمكنها أن تقدِّم سردا غنيا ومفصَّلا للبيانات، بل ومُركَّبا complex كذلك.

يمتاز التحليل الموضوعاتي بالمرونة، وينبغي أن نكون واضحين في أننا لا نسعى إلى تقييد هذه الميزة؛ إلا أننا نرى أن غياب إرشادات واضحة وموجزة عنه يعني أن نقد «كل شيء مباح» الذي يُرمى به البحث الكيفي (Antaki et al., 2002) قد يَصدُق تماما على بعض الحالات. لهذا، نأمل أن نُقيم بهذه المقالة توازنا بين ترسيم حدود التحليل الموضوعاتي بوضوح _أي شرح ماهيته وكيفية القيام به_ وبين ضمان المرونة في كيفية استعماله، حيث لا يمسي محدودا ومقيَّدا، فيفقد بذلك إحدى مزاياه الرئيسة.

سيكون التحديد الواضح للتحليل الموضوعاتي مفيدا لضمان اتخاذ مستعملي هذا المنهج خيارات فاعلة بخصوص نوع التحليل الذي ينخرطون فيه. لهذا، تسعى هذه المقالة إلى تثمين مرونة المنهج، وتزويد الباحثين بمفردات و«وصفة» recipe تمكِّنهم من إجراء تحليل موضوعاتي سليم نظريا ومنهجيا[6]؛ إذ المهم في الأمر، كما

6 يدافع بعض المؤلفين، مثل بوتر Potter (1997: 48-147)، عن أنه لا ينبغي للمرء أن يقدم ببساطة «وصفات» للمناهج الكيفية، مثل تحليل الخطاب DA، لأن «جزءًا كبيرًا من تحليل الخطاب هو أشبه بمهارة حِرفية (مثل ركوب الدراجة أو تحديد جنس فراخ الدجاج) منه باتباع وصفة إعداد دجاج روجان جوش... chicken rogan josh؛ وهذا ما يُصعب وصف هذه المناهج وتعلمها». وفي الوقت الذي نتفق فيه على وجوب تعلم المهارات اللازمة للتحليلات الكيفية بجميع أنواعها، يجادل كتاب آخرون، مثل مكليود McLeod (2001)، عن أن غياب مناقشة «كيفية» التحليل يُبقي بعض المناهج غامضة (وبالتالي نخبوية). وبدلاً من ذلك، إذا أردنا جعل المناهج ديمقراطيةً متاحةً - وتصيير البحث الكيفي بجميع صوره أكثر قابلية للفهم عند غير المدربين على هذه المناهج، أي أن يصير أكثر شيوعًا - فعلينا تقديم مشورة ملموسة في كيفية القيام بذلك بالفعل. وإن كنا لا نشكك في أهمية أنواع التدريب «بدون وصفة»، فإننا نرى أن «الوصفات» تقلل، بالضرورة، من تعقيد طرق معينة، أي أنها مهمة في جعل الوصول إلى المناهج ميسورا.

سنبين، هو أن يَعرض الباحثون افتراضاتهم (الإبستمولوجية وغيرها) على نحو صريح*[7] كلَّما طبقوا منهجا معيَّنا على نوع من أنواع البيانات (Holloway and Todres, 2003)؛ ذلك أن على علماء النفس الكيفي أن يكونوا واضحين بشأن ما يفعلونه ولماذا يفعلونه، وأن يُضمِّنوا تقاريرهم «كيف» أجْروا تحليلهم، وهو أمر كثيرا ما يُغفَل ذِكره (Attride-Stirling, 2001).

تتضمن هذه المقالة العناصر الآتية: أولا، تعريف التحليل الموضوعاتي؛ ثانيا، اقتراح دليلٍ إرشادي من ست مراحل لإجرائه؛ ثالثا، بيان المزالق المحتملة الواجب تجنبها عند إجرائه؛ رابعا، تحديد معايير التحليل الموضوعاتي الجيد؛ خامسا، كشف مزايا التحليل الموضوعاتي وعيوبه. وسنورد، في هذه العناصر كلِّها، أمثلة مستمدة من الأدبيات البحثية العامة ومن أبحاثنا الخاصة؛ لأن في توفير الأمثلة توضيحا لنوع الأسئلة البحثية والمواضيع التي يمكن توظيف التحليل الموضوعاتي في دراستها.

قبل أن نبدأ، علينا تعريف عدد من المصطلحات المستخدمة في المقالة. أولا، يشير مَتْنُ البيانات data corpus إلى جميع البيانات التي تَمَّ جمعها من أجل مشروع بحْث مُعيَّن، في حين تشير مجموعة البيانات data set إلى جميع البيانات المقتَطَفة من المَتْن والمستعملة لإجراء تحليل مُعيَّن.

توجد طريقتان رئيستان لاختيار مجموعة البيانات (يتوقف نوع المقاربة المتبعة على ما إذا كنتَ ستباشِر البيانات بسؤال محدَّد أَمْ لا - انظر «عدد من القرارات» في ما سيأتي)؛ فإن أخذنا بالأُولى، قد تتكون مجموعة بياناتنا من عِدّة عناصر بيانات فردية individual ضِمْنَ مَتْن البيانات أو من عناصر البيانات جميعها. لهذا، على سبيل المثال، نجد أن مَتْن بيانات فرجينيا Virginia (الوارد في مشروع بحْث عُني بالجراحة التجميلية لأعضاء الإناث التناسلية) قد تَكوَّن من مقابلات مع جراحين ومن مواد إعلامية في الموضوع ومواقع إلكترونية لجرّاحين، لكن لإجراء أي تحليل معين، قد تقتصر مجموعة البيانات المحلَّلة على ما جُمع من مقابلات مع الجراحين أو مواقع الأنترنيت فقط (Braun, 2005b)، أو قد تَجمع بين البيانات المجمَّعة من الجراحين وبعض البيانات المجمَّعة من الإعلام (eg, Braun, 2005a). أمّا إن أخذنا بالطريقة الثانية، فقد تُحدَّد مجموعة البيانات انطلاقا من اهتمام تحليلي خاص بمواضيع مُعيَّنة في البيانات؛ ومن ثَمَّ، تصبح مجموعة البيانات هي جميع الحالات الواردة في المَتْن، حيث يشار إلى ذاك الموضوع. لهذا، إن كانت فرجينيا، في المثال المذكور آنفا، مهتمة بكيفية الحديث عن «المتعة الجنسية»، فإن مجموعة بياناتها ستتألف من جميع الحالات الحاضرة عَبْرَ كامل مَتْن البيانات والتي لها صلة relevance بالمتعة الجنسية. وفي بعض الأحيان، قد يُجمع بين المقاربة الأولى والثانية لإنتاج مجموعة البيانات.

*7 حيثما وردت كلمة «صراحة» (وما يشتق منها) في النص فهي ترجمة لكلمة explicit، وتعني التعبير الواضح الجلي البين المباشر، الذي لا يحتمل اللبس والغموض، وتقابلها كلة implicit، وتعني ما يعبر عنه ضمنيا أو تلميحا أو على نحو غير مباشر. انظر:

"Explicit." Merriam-Webster.com Dictionary, Merriam-Webster, https://www.merriam-webster.com/dictionary/explicit. Accessed 11 Feb. 2023

ثانيا، يُستخدم مصطلح عنصر البيانات data item للإشارة إلى كل قطعة piece مفردة من البيانات المجمَّعة، والتي تُكوِّن مجتمعة مجموعة البيانات أو مَتْن البيانات. وقد يكون عنصر البيانات، في حالة مثالنا آنف الذكر، مقابلة مع جَرّاح أو فيلما وثائقيا تلفزيونيا أو موقع أنترنيت. أخيرا، يشير مصطلح مقتطف البيانات data extract إلى شريحة chunk بيانات مفردة مُرَمَّزَة جرى تعرُّفها *identified[8] ضِمْنَ عنصر بيانات ما واقتُطفت منه. ومع أنه ستكون هناك عدِّة مقتطفات مأخوذة من مجموعة البيانات بأكملها، فلن يَظهر في التحليل النهائي إلّا مجموعة مختارة من هذه المقتطفات.

أولا: ما التحليل الموضوعاتي؟

التحليل الموضوعاتي منهج لتعرُّف الأنماط patterns (موضوعات) ضِمْنَ البيانات وتحليلها وإعداد تقرير عنها. إنه منهج يُنظِّم مجموعة بياناتك ويصِفها بأدنى حد ممكن minimal من التفاصيل (الغنية)، وكثيرا ما يَذهب إلى أبعد من هذا، ويفسِّر جوانب مختلفة من موضوع البحث (Boyatzis, 1998). وسنسلط مزيدا من الضوء على نطاق التحليلات الموضوعاتية المختلفة المتاحة (انظر أدناه)؛ وذلك تبعا للقرارات التي يتخذها الباحث بشأن توظيف التحليل الموضوعاتي منهجا (انظر ما سيأتي).

مع أن التحليل الموضوعاتي يُستعمل على نطاق واسع، فلا يوجد اتفاق واضح على ماهيته وكيفية ممارسته (انظر، Attride-Stirling, 2001; Boyatzis, 1998; Tuckett, 2005 للحصول على أمثلة أخرى). ويمكن تشبيهه بمنهج يحمل «علامة تجارية» brand سيئة جدّا؛ إذ لا يبدو أنه موجود بوصفه تحليلا «مُسَمًّى»، كما هو الحال مع المناهج الأخرى (كالتحليل السردي والنظرية المجذرة مثلا). لهذا، غالبا ما لا يُعترف صراحة بأنه هو المنهج المستعمَل في التحليل مع أن كثيرا من مناهج التحليل _ كما نحاج عن ذلك_ هي في الأساس. إمّا موضوعاتية وتزعم أنها شيء آخر (كتحليل الخطاب، أو حتى تحليل المحتوى (مثل، Meehan et al., 2000))، وإمّا لا تُعيِّن منهجا محددا على الإطلاق _ كقول أصحابها: البيانات «تخضع للتحليل الكيفي للموضوعات المتكررة على نحو شائع» (Braun and Wilkinson, 2003: 30). لكن، إن نحن جهلنا كيف يحلِّل الناس بياناتهم، والافتراضات التي استرشدوا بها في ذلك، فمن الصعب تقييم أبحاثهم ومقارنة بعضها ببعض و/أو التركيب بينها وبين دراسات أخرى تشاركها في الموضوع؛ وهذا أمْر قد يعوق مستقبلا الباحثين الآخرين الذين لهم مشاريع ذات صلة بالموضوع نفسه (Attride-Stirling, 2001). لهذا، نقول إن الوضوح في سيرورة المنهج وممارسته أمْر حيوي، ونأمل أن تزيد هذه المقالة من وضوح التحليل الموضوعاتي.

8* identified ترجمناها غالبا بـ «تَعرُّف» وأحيانا بتحديد، وتعني في لغتها الأصلية القدرة على تمييز شخص أو شيء وتحديد ماهيته وتعيينه وتعريفه وتسميته. نقول مثلا: «تعرفتُ الحزن في وجهه»، أي استطعت تمييزه، ونقول أيضا: «التلميذ النبيه يتعرف العنصر الدخيل ضمن مجموعة منسجمة من الأشكال الهندسية». انظر:

Definition of identify from the Cambridge Business English Dictionary © Cambridge University Press. Accessed 11 Feb. 2023

وفي علاقة بالموضوع ذاته، كثيرا ما تُقدِّم التقارير تفاصيل غير كافية عن سيرورة التحليل وتفاصيله (Attride-Stirling, 2001)؛ إذ ليس نادرا أن تجد حديثا عن الموضوعات «المنبثقة» من البيانات (مع أن هذه المسألة لا تقتصر على التحليل الموضوعاتي)؛ فعلى سبيل المثال، يقول سنجر وهنتر Singer and Hunter، (1999:67) في تحليلهما للخطاب الموضوعاتي لتجارب النساء مع سن اليأس المبكر، إن «عِدَّة موضوعات انبثقت أثناء التحليل»، ويَدَّعي روبن وروبن Rubin and Rubin (1995: 226) أن التحليل يكون مثيرا لأنك «تكتشف موضوعات ومفاهيم مطمورة في مقابلاتك.» لكن، وصف الموضوعات «المنبثقة» أو «المكتَشفة» هو وصف منفعل passive لسيرورة التحليل، ينكر الدور الفاعل active الذي يضطلع به الباحث دائما في تحديد الأنماط - الموضوعات، واختيار المثير منها للاهتمام وكتابة التقارير عنها للقراء (Taylor and Ussher, 2001)[9]. أضف إلى هذا أن لغة «انبثاق الموضوعات»:

«يمكن أن يساء تأويلها لتعني أن الموضوعات «تُقِيمُ» في البيانات، وإذا نظرنا بإمعان فإنها «ستنبثق» مثل Venus on the half shell[*10]. إن كانت الموضوعات «تُقِيمُ» في أي مكان، فإنها تُقِيمُ في رؤوسنا جرَّاء تفكيرنا في بياناتنا وخلقنا للترابطات كما نفهمها.» (Ely et al.,1997: 205-6)

في هذه المرحلة، من المهم أن نصرح بقيمنا ومواقفنا النظرية من البحث الكيفي؛ فنحن لا نؤيد النظر إلى البحث الكيفي من منظور واقعي ساذج، حيث يمكن للباحث ببساطة «مَنْح صوت» giving voice (انظر Fine, 2002) للمشاركين[*11] في بحثه؛ لأنه، كما يؤكد فاين fine (2002) :218)، حتى مقاربة «مَنْح الصوت» «تتضمن مَنْح مكانة لأجزاء من الدليل السردي[*12] narrative evidence غير معترف بها، نختارها ونعدِّلها ونبسُطها لدعم ما نحاج عنه». لكن، مع هذا، نحن لا نقول بوجود إطار نظري مثالي لإجراء بحث كيفي، ولا بوجود منهج مثالي وحيد؛ لأن ما يهم حقا هو توافق الإطار النظري والمناهج المتبَعة مع ما يريد الباحث معرفته، وأن يَعترف بهذه القرارات، ويدرِك أنها قرارات فعلا.

يختلف التحليل الموضوعاتي عن بقية مناهج التحليل الساعية إلى وصف الأنماط الحاضرة عَبْرَ البيانات الكيفية _ مثل تحليل الخطاب «الموضوعاتي» وتحليل التفكيك الموضوعاتي Thematic decomposition

---

9 يقترح فوستر وباركر (1995) طريقة واحدة للاعتراف بالدور الإبداعي والنشط للمحلل، وهي استعمال ضمير المتكلم عند الكتابة.

10* الترجمة الحرفية لهذه العبارة هي: «الزُهرة في نصف صدفة»، والمقصود شيء فجائي أو عجائبي، وهي ترتبط بالمثولوجيا اليونانية التي تقول إن فينيس أو أفروديايت (الزهرة) ولدت كاملة بهية من صدفة بحرية. وتعني هذه الاستعارة أن الموضوعات المطمورة في البيانات ستبزغ فجأة، كاملة بهية دون أي جهد تأويلي فاعل من الباحث.

11* المشاركون في البحث هنا هم المستجوبون أو المستطلعة آراؤهم من أفراد عينة البحث، وليس من أسهموا في كتابته وإعداده، ومنحهم صوتا يعني نقل أقوالهم «كما هي»، دون تأويل أو اختيار أو تعديل لأجزاء مما يسردونه.

12* أي ما يسمعه الباحث من أقوال المشاركين في الدراسة وسردياتهم التي يقدمونها للإجابة عن أسئلته.

analysis، والتحليل الظاهراتي التأويلي والنظرية المُجَدَّرة[13]. ومع أن هذه المناهج تَتحرى الأنماط في البيانات، فإنها ملتزمة*[14] bounded نظريا؛ فالتحليل الظاهراتي التأويلي مشدود إلى إبستمولوجيا ظاهراتية (Smith et al., 1999; Smith and Osborn, 2003)، الأولوية عندها للتجربة (Holloway and Todres, 2003)؛ لأنها ترى أن فهمَ الظاهرة المدروسة بتفصيل أكبر يتطلب فهمَ تجربة الناس اليومية بالواقع (McLeod, 2001). ويزداد الأمر تعقيدا إذا علمنا أن النظرية المُجَدَّرة تأتي في إصدارات مختلفة (Charmaz, 2002). وإن غضضنا الطرف عن هذا، وجدنا أن هدف النظرية المُجَدَّرة من التحليل هو إنشاء نظرية معقولة _ومفيدة_ عن الظواهر المدروسة انطلاقا من البيانات (McLeod, 2001). لكن، بناء على ما خبرناه، يبدو أن هذه النظرية تُستعمل استعمالا متزايدا على نحو يستند أساسا إلى نظرية مُجدَّرة «مخفَّفة» lite _ أي بوصفها مجموعة من الإجراءات لترميز البيانات تشبه إلى حد بعيد التحليل الموضوعاتي؛ ومثل هذه التحليلات لا يبدو أنها تفي بالالتزامات النظرية للنظرية المجدرة «كاملة الدسم» التي تتطلب توجيه التحليل نحو بناء نظرية (Holloway and Todres, 2003). لهذا، فإننا نقترح على هؤلاء الباحثين أنهم لا يحتاجون في التحليل «المُسمى والمُدَّعى» بأنه موضوعاتي إلى الأخذ بالالتزامات النظرية الضمنية للنظرية المُجَدَّرة، ما لم يكونوا راغبين في إنتاج تحليل نظري منجَز كلّيا على أسس هذه النظرية.

أمّا مصطلح «تحليل الخطاب الموضوعاتي»، فيُستعمل للإشارة إلى نطاق واسع من تحليل نوع-نمط البيانات، يمتد من التحليل الموضوعاتي المندرج ضِمْنَ إبستمولوجيا بنائية اجتماعية (أي حيث تُعرف الأنماط بأنها منتجَة اجتماعيا، لكن دون إجراء تحليل خِطابي)، وصولا إلى صورة تحليل شبيهة جدا بالتصانيف repertoire التأويلية لتحليل الخطاب (Clarke, 2005). في حين أن «تحليل التفكيك الموضوعاتي» (eg, Stenner, 1993; Ussher and Mooney-Somers, 2000) هو اسم يطلَق على نوع محدَّد من التحليل «الموضوعاتي» للخطاب، يحدِّد الأنماط (الموضوعات، القصص) الحاضرة ضِمْنَ البيانات، وينظِّر للغة بوصفها مُنشِئة للمعنى، وللمعنى بوصفه اجتماعيا.

تشترك هذه المناهج المختلفة في البحث عن موضوعات، أو أنماط مُعيَّنة، تحضر عَبْرَ مجموعة بيانات (كلِّها) وليس ضِمْنَ عنصر بيانات مثل مقابلة فردية أو مقابلات مع شخص واحد، مثل تحليل السيرة الذاتية ودراسة الحالة كما نجد في التحليل السردي (eg, Murray, 2003; Riessman, 1993). وإذا أخذنا بهذا المعنى، فإن هذه المناهج تتداخل، بشكل أو بآخر، مع التحليل الموضوعاتي. ولـمَّا كان التحليل الموضوعاتي لا يتطلب المعرفة النظرية والتكنولوجية التفصيلية التي تتطلبها مقاربات أخرى، مثل النظرية المُجَدَّرة والتحليل النقدي، فإنه يمكن أن يوفِّر منهجا سهل المأخذ، لا سيما على من هم في بداية مشوارهم مع البحث الكيفي.

13 تحليل المحتوى منهج آخر يمكن استعماله لتحديد الأنماط عبر البيانات الكيفية، ويعامل أحيانًا معاملة المقاربات الموضوعاتية (على سبيل المثال، Wilkinson، 2000) ومع ذلك، يميل تحليل المحتوى إلى التركيز على مستوى الميكرو، وكثيرا ما يوفِر تعدادات تكرارية (Wilkinson, 2000)، ويسمح بالتحليلات الكمية للبيانات الكيفية في أصلها (Ryan and Bernard, 2000). لكن التحليل الموضوعاتي يختلف عن هذا في أن الموضوعات لا تميل إلى أن تكون كمية، مع أنها قد تكون كذلك في بعض الأحيان؛ وقد اقترح بوياتزيس Boyatzis (1998) إمكانية استعمال التحليل الموضوعاتي لتحويل البيانات الكيفية إلى شكل كمي، وإخضاعها للتحليلات الإحصائية؛ ووحدة التحليل أميل إلى أن تكون أكثر من مجرد كلمة أو عبارة، مثلما هو واقع الحال في تحليل المحتوى.

14* تدل boundid هنا على أن المناهج المذكورة محصورة ومقيدة بحدود ومنطلقات نظرية خاصة، تلتزمها ولا تتجاوزها.

لا يرتبط التحليل الموضوعاتي بأي إطار نظري قائم سلفا، وذلك خلافا للتحليل الظاهراتي التأويلي والنظرية المُجَذَّرة (أو مناهج أخرى كالتحليل السردي والتحليل النقدي أو تحليل المحادثة)؛ ومن ثَمَّ، يمكن استعماله ضِمْنَ أُطر نظرية مختلفة (وإن لم تكن كلها)، واستعماله كذلك للقيام بأشياء مختلفة ضمنها.

يمكن للتحليل الموضوعاتي أن يكون منهجا ذا منزع ماهوي أو واقعي يقدِّم تقارير عن الخبرات والمعاني وواقع المشاركين، أو يكون منهجا بنائيا يدرس الطرائق التي تَكون بها الأحداث والوقائع والمعاني والخبرات ونحوها ناتجة عن طيف من الخطابات العاملة ضِمْنَ المجتمع، أو يكون منهجا ذا منزع «سياقي» contextualist، يتَموضع بين قطبي الماهوية والتكوينية، ويختص بنظريات معينة، كالواقعية النقدية (eg, Willig, 1999)، فيعترف بالطرائق التي يمنح بها الأفراد معنى لتجاربهم، ويعترف، بالمقابل، بالطرائق التي يؤثر بها السياق الاجتماعي الأوسع في تلك المعاني، كل هذا مع الحفاظ على التركيز على المادية وغيرها من حدود «الواقع». وبناء عليه، يمكن للتحليل الموضوعاتي أن يكون، على حد سواء، منهجا يكتفي بعكس صورة reflect الواقع، أو يتجاوز ذلك إلى تعرية سطح هذا «الواقع» وفض تشابك خيوطه. لكن، كل هذا لا يُغني عن التصريح بالموقف النظري للتحليل الموضوعاتي؛ إذ كثيرا ما لا يُعْلَن عنه (وهذا تصرف واقعي نمطي). لكن، مادام كلُّ إطار نظري يَحمل عددا من الافتراضات، عن طبيعة البيانات وما تُمثله بخصوص «العالم» و«الواقع» وما إلى ذلك، فإن التحليل الموضوعاتي الجيد مطالب بجعل افتراضاته شفافة.

عدد من القرارات

يَتطلب التحليل الموضوعاتي اتخاذ عدد من الخيارات، غير أنه لا يصَرَّح بها غالبا (ومن المؤكد أنها لا تناقَش عادة في القسم المنهجي من البحوث) مع أنها تتطلب النظر والمناقشة الصريحة. ومن الناحية العملية، ينبغي النظر في هذه المسائل قبل البدء بتحليل البيانات (وأحيانا قبل جمْعها حتى)، وطوال عملية التحليل يحتاج الباحث أو الباحثون إلى الدخول في حوار انعكاسي مستمر بخصوص هذه القضايا. ومن الأمثلة الجيدة عن البحث الذي يقدِّم هذه العملية صراحة، هو ما نجده في القسم المنهجي من التحليل الموضوعاتي للخطاب الذي أنجزه تيلور وآشر Taylor and Ussher (2001) عن السادومازوشية؛ لكن في مقابل هذا المثال، نجد أن القسم المنهجي من عمل براون وويلكينسون Braun and Wilkinson (2003) لا يفعل ذلك.

القرار الأول: ما الذي يُعَدُّ موضوعة؟

تَلتقط الموضوعة شيئا مُهما في البيانات له علاقة بسؤال البحث، وتُمثل مستوى معينا من المعاني أو الاستجابات التي تكون منتظمة في نمط Patterned وحاضرة ضِمْنَ مجموعة بيانات. ومن الأسئلة المهمة التي ينبغي التعاطي معها بخصوص الترميز نذكر: ما الذي يُعَدُّ نمطا/موضوعة؟ أو ما «الحجم» الذي ينبغي

للموضوعة أن تَكون عليه؟ وهذه مسألة تخص الانتشار، سواء من حيث الحيِّز الذي تشغله الموضوعة ضِمْنَ كل عنصر من عناصر البيانات أم من حيث انتشارها عَبْرَ مجموعة البيانات بأكملها.

من الناحية المثالية، ستجد بعض الموضوعات حاضرة عَبْرَ مجموعة البيانات، لكن وجود حالات أكثر لا يعني بالضرورة أن الموضوعة نفسها أكثر أهمية؛ ذلك أنه ما دُمنا أمام تحليل كيفي، فلا توجد إجابة حاسمة وسريعة عن سؤال الحصة المطلوب تحصيلها، من مجموعة البيانات، كي تُثبت الموضوعة أنها موضوعة فعلا؛ إذ ليست المسألة أنه إن حضرتِ الموضوعة في 50٪ من عناصر البيانات فستكون موضوعة، وإن حضرت في 47٪ فقط فلن تكون موضوعة، وليست المسألة أيضا أن الموضوعة هي فقط شيء توليه العديد من عناصر البيانات اهتماما كبيرا بدل الاكتفاء بجملة أو جملتين. ألا تَرى أنه قد تُعطى موضوعة مُعيَّنة مساحة كبيرة في بعض عناصر البيانات، وتعطى مساحة قليلة في بعضها أو لا تعطى شيئا في بعضها الآخر، أو قد تَظهر في عدد قليل نسبيا من مجموعة البيانات. لكل هذا، يُعَدُّ حكم الباحث ضروريا لتحديد ما هي الموضوعة. وتوجيهنا الأولي لك في هذا، هو أنك تحتاج إلى شيء من المرونة، أمّا القواعد الصارمة فلا يعوَّل عليها. (سنعود لاحقا إلى مسألة الانتشار في ما يتعلق بالموضوعات والموضوعات الفرعية، حيث إن تنقيح التحليل (انظر ما سيأتي) كثيرا ما يؤدي إلى موضوعات عامة وأخرى فرعية ضمنها).

إضافة إلى ما سبق، فإن [الحكم ب] «مفتاحية» keyness موضوعة ما لا يَعتمد بالضرورة على مقاييس كمية_ وإنما على التقاطها شيئا مُهما له علاقة بالسؤال الإجمالي للبحث من عدمه. على سبيل المثال، في بحث فيكتوريا عن تمثلات الآباء المثليين والأمهات المثليات في 26 برنامجا حواريا (Clarke and Kitzinger, 2004)، حَددت ست موضوعات «مفاتيح»، ولم تكن بالضرورة هي الأشيع عَبْرَ مجموعة البيانات_ ظهرت في ما بين اثنين و22 من البرامج الحوارية الـ 26 _ لكنها التَقَطت مجتمعة عنصرا مُهما في الطريقة التي «يُطَبِّع» normalize بها المثليون عائلاتهم في مناظرات البرامج الحوارية. في حالة هذا المثال، كان التحليل الموضوعاتي موجَّها بهذا السؤال التحليلي عن التطبيع تحديدا. ومادام تحديد الانتشار يمكن أن يُجرى بطرائق مختلفة، فإن السؤال عن كيفية «قياس» هذه الباحثة لمعدل الانتشار هو أمر وثيق الصلة هنا، وقد حسبَته على مستوى عنصر البيانات (أي، هل ظهرت الموضوعة في أي مكان من كل برنامج حواري على حدة؟)، وكان يمكنها حسابه من زاوية عدد المتحدثين المختلفين الذين عبَّروا عن الموضوعة عَبْرَ مجموعة البيانات بأكملها، أو من زاوية كل ظهور مفرد للموضوعة تكرر عَبْرَ مجموعة البيانات بأكملها (الأمر الذي يثير أسئلة معقدة عن بدء «حالة ما» وانتهائها ضِمْنَ سلسلة طويلة من الحديث- انظر Riessman, 1993). ونظرا إلى أن مسألة الانتشار لم تكن مصيرية في التحليل المقدَّم، سَلكت فيكتوريا الطريقة الأكثر مباشرة ووضوحا. لكن، من المهم أن نذْكر أنه لا يوجد منهج صحيح لتحديد الانتشار وآخر خاطئ؛ ذلك أن جزءا من مرونة التحليل الموضوعاتي تكمن في إتاحته تحديد الموضوعات (والانتشار) بطرائق متعددة؛ إذ المهم فعلا هو أن تكون متسقا في كيفية قيامك بذلك في أي تحليل تنجزه.

توجد «اصطلاحات» متنوعة لتمثيل الانتشار في التحليل الموضوعاتي (وبقية المناهج الكيفية الأخرى) لا توفِّر مقياسا كميا (خلافا لكثير من مناهج تحليل المضمون، Wilkinson, 2000) _كقولنا: «غالبية المشاركين» (Meehan et al., 2000: 372)، أو «عدة مشاركين» (Taylor and Ussher, 2001: 298)، أو «عدد من المشاركين» (Taylor and Ussher, 2001: 298). ومثل هذه الواسمات تعمل على نحو بلاغي كي تقترح علينا أن الموضوعة موجودة بالفعل في البيانات، وكي تقنعنا بأنها تقدم تقريرا صادقا عن البيانات. لكن، هل تخبرنا بالكثير؟ ربما يكون هذا من المجالات التي تحتاج إلى مزيد من النقاش للإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف نمثل انتشار الموضوعات في البيانات؟ ولماذا نفعل ذلك؟ وهل الانتشار مُهم على نحو خاص، ولماذا هو كذلك؟

القرار الثاني: وصف غني لمجموعة البيانات أو بيان مفصَّل لجانب مُعيَّن واحد

من المهم أن تُحدِّد نوعَ التحليل الذي تود إنجازه والدعاوى التي تريد إقامتها، كل ذلك في علاقة بمجموعة البيانات التي تحللها. على سبيل المثال، قد تكون راغبا في تقديم وصف موضوعاتي غني لمجموعة البيانات بأكملها، بحيث يَتعرَّف القارئ الموضوعات السائدة أو المهمة؛ وفي هذه الحالة، يجب أن تكون الموضوعات التي تُحدِّدها وتُرَمِّزها وتحللها انعكاسا دقيقا لمحتوى مجموعة البيانات بأكملها. ومع أنك ستَفقد، بالضرورة، بعض العمق والتعقيد باعتماد هذا النوع من التحليل، (خاصة إذا كنت تكتب أطروحة assertation قصيرة أو مقالة بحدود كلمات صارم) فإنك تُحافظ على نسخة عامة غنية، وقد يكون هذا التحليل الغني منهجا مفيدا، خاصة إن كنت تحقِّق في مجال لم يُبحث كفاية under-researched، أو تعمل مع مشاركين آراؤهم في الموضوع الذي تبحثه مجهولة.

في مقابل الوصف الغني، يَتمثل الاستعمال البديل للتحليل الموضوعاتي في توفير وصف أكثر تفصيلا ودقة لموضوعة معينة، أو مجموعة موضوعات، تَحضر ضِمْنَ البيانات. وقد يتعلق هذا الاستعمال بسؤال محدَّد أو مجال اهتمام ضِمْنَ البيانات (انظر المقاربة الدلالية في ما سيأتي)، أو بموضوعة مُعيَّنة «كامنة» (انظر أدناه) تحضر عَبْرَ مجموعة البيانات كلها أو معظمها. ومن الأمثلة على ذلك، نذكُر بحث فيكتوريا حول البرنامج الحواري المناقش آنفا (Clarke and Kitzinger, 2004)، والذي فَحصت فيه التطبيع في روايات المثليين عن الأبوة والأمومة.

القرار الثالث: التحليل الموضوعاتي الاستقرائي مقابل النظري

يمكن في التحليل الموضوعاتي تحديد الموضوعات أو الأنماط الواردة ضِمْنَ البيانات بإحدى طريقتين رئيستين: طريقة استقرائية، أو لنقل «من أسفل إلى أعلى» (على سبيل المثال، Frith and Gleeson, 2004)، وأخرى نظرية أو لنقل استنباطية أو «من أعلى إلى أسفل» (على سبيل المثال، Boyatzis, 1998; Hayes, 1997). تعني المقاربة الاستقرائية أن الموضوعات المحدَّدة ترتبط، ارتباطا وثيقا، بالبيانات نفسها (Patton, 1990) (بهذا، يحمل هذا الضرب من التحليل الموضوعاتي شبها بالنظرية المجذَّرة). في هذه المقاربة، إن جُمِّعت البيانات من أجل البحث

خاصة (مثلا، عَبْرَ مقابلة أو مجموعة بؤريةfocus group*[15])، فقد لا يَكون للموضوعات المحدَّدة إلا علاقة طفيفة بالأسئلة الخاصة المطروحة على المشاركين، ولن تكون أيضا موجَّهة بالاهتمامات النظرية للباحث بالمجال أو الموضوع. وعليه، فإن التحليل الاستقرائي هو سيرورة ترميز البيانات دون محاولة جعلها تناسب إطار ترميز موجود قبلا، أو التصورات التحليلية المسبقة للباحث. ومن ثَمَّ، يكون هذا الضرب من التحليل الموضوعاتي موجَّها بالبيانات data-driven. ومع ذلك، من المهم أن نذْكر، كما ناقشنا آنفا، أن ليس في وسع الباحثين تحرير أنفسهم من التزاماتهم النظرية والإبستمولوجية، وأن البيانات لا تُرَمَّز في فراغ إبستمولوجي.

في مقابل الطريقة الاستقرائية، يميل التحليل الموضوعاتي «النظري» إلى أن يَكون موجَّها بالاهتمامات النظرية أو التحليلية للباحث بالمجال، ومن ثَمَّ، يكون موجَّها باهتمامات الباحث analyst-driven على نحو أكثر صراحة. يميل هذا النوع من التحليل الموضوعاتي عموما إلى توفير وصف أقل غِنى للبيانات، وتحليل أكثر تفصيلا لجانب من جوانبها. إضافة إلى ما سبق، يتوقف الاختيار بين الخرائط الاستقرائية والنظرية على كيفية ترميز البيانات والغرض من ذلك؛ إذ يمكنك أن تُرمِّز من أجل سؤال بحث محدَّد تماما (تأخذ بالمقاربة الأكثر نظرية) كما يمكن لسؤال البحث المحدَّد أن يتبلور أثناء عملية الترميز (تأخذ بالمقاربة الاستقرائية).

فلو افترضنا أن باحثا كان مهتما بالحديث عن الجنس المتغاير*[16] heterosex، وجمع البيانات من المقابلة، باستعمال مقاربة استقرائية، فإنه سيقرأ البيانات ويعيد، بحثا عن أي موضوعات تتعلق بـالجنس المتغاير، وسيرمِّز ترميزا متنوعا دون أن يلقي بالا للموضوعات التي ربما تكون الأبحاث السابقة في الموضوع قد حددتها. على سبيل المثال، لن ينظر إلى البحث المؤثر لـ هولواي Hollway (1989)، الذي حَددت فيه خطابات الجنس المتغاير ورمَّزت ثلاث موضوعات فقط، وهي: خطاب الدافع الجنسي للذكور، وخطاب الأخذ/الحفاظ have/hold، وأخيرا خطاب السماح*[17]. وفي المقابل، إن اتبع الباحث مقاربة نظرية، فقد يكون مهتما بالطريقة التي يَظهر بها السماح عَبْرَ البيانات، وسيركِّز على تلك الميزة بالذات في الترميز؛ الأمر الذي سيؤثر بعد ذلك في عدد الموضوعات عن الإباحة، التي قد تشمل التحدث عن أمر قريب من موضوعة هولواي الأصلية أو التوسع فيها.

15* منهج/تقنية تستعمل في البحوث الكيفية لتجميع البيانات المطلوبة عن طريق خلق مجموعات نقاش مصغرة، يُعرض عليها موضوع محدد تناقشه والباحث يراقب تفاعلات أعضائها ويسجل كيفية تعاطيهم مع الموضوع ونوع الأسئلة التي يطرحونها والإجابات التي يقدمونها.

16* الجنس بين ذكر وأنثى.

17* بحث شهير، حدَّدت فيه الكاتبة ثلاثة خطابات معاصرة عن الجنسية مع الجنس الآخر، وهي: خطاب الدافع الذكوري، ويعني أن الذكور مدفوعون بيولوجيا إلى ممارسة الجنس مع الإناث وتفريغ التوتر الناتج عن الإثارة، وخطاب يملك/ يحفظ (عبارة تستعمل عادة في عقد القِران الموافق للأديان والأعراف، حيث يقسم العروسان بأن يؤوي كل منهما الأخر ويحفظه)، القائم على ثنائية الرجل يقدم الحماية والأمن والأنثى توفر الأبناء، وأخيرا خطاب الإباحة والتساهل الذي يعترف بالرغبة الجنسية للإناث والذكور وحقهم بممارستها في حال الرضى وانعدام الأذى.

القرار الرابع: موضوعات دلالية أم كامنة؟

يدور قرار آخر حول «المستوى» level الذي سُتحدَّد فيه الموضوعات، أهو مستوى دلالي أو لنقل صريح، أم مستوى كامن أو لنقل تأويلي[18] (Boyatzis, 1998)؟ وقد جرت العادة أن التحليل الموضوعاتي يركِّز حصرا، أو في المقام الأول، على مستوى واحد فقط. وفي حال اتباع مقاربة دلالية، ستُحدَّدُ الموضوعات ضِمْنَ المعاني الصريحة أو السطحية للبيانات، ولن يَتطلع المحلِّل إلى أي شيء يتجاوز ما قاله أو كتبه المشارك في الدراسة. وفي ظروف مثالية، ستشمل سيرورة هذا المستوى من التحليل خطوات تبدأ بالوصف، حيث ببساطة تُنظَّم البيانات لإظهار أنماط في المحتوى الدلالي، ثم التلخيص، وصولا إلى التأويل، حيث يُحاوَل التنظير لأهمية الأنماط ومعانيها الأوسع وتداعياتها (Patton, 1990)، وكثيرا ما يَجري ذلك في علاقة بأدبيات البحث السابقة (للحصول على مثال ممتاز لهذا، انظر Frith and Gleeson, 2004).

وفي المقابل، يتجاوز التحليل الموضوعاتي على المستوى الكامن المحتوى الدلالي للبيانات، ويشرَع في تحديد أو دراسة الأفكار والافتراضات والتصورات - والأيديولوجيات - التحتية the underlying التي نُظِّر لها على أنها تشكِّل أو تُعلِم بالمحتوى الدلالي للبيانات. وإذا تخيلنا بياناتنا ثلاثية الأبعاد، كقطعة غير متساوية من الهُلام jelly، فإن المقاربة الدلالية ستسعى إلى وصف سطح الهُلام وشكله ومعناه، في حين أن المقاربة الكامنة ستسعى إلى تعرُّف الملامح التي أعطت الهلام هذا الشكل المحدَّد وهذا المعنى. ومن ثَمَّ، يَرى التحليل الموضوعاتي الكامن أن بلورة development الموضوعات نفسه ينطوي على عمل تأويلي، والتحليل المنتَج ليس مجرد وصف، وإنما هو عمل جرى التنظير له سلفا.

يميل التحليل المنجز ضِمْنَ هذا التقليد، المذكور آنفا، إلى الصدور عن البارديغم البنائي (مثال، Burr, 1995)، وبهذا، يتداخل التحليل الموضوعاتي مع أشكال من تحليل الخطاب «DA» (المُشار إليها أحيانا باسم «تحليل الخطاب الموضوعاتي» (على سبيل المثال Singer and Hunter, 1999; Taylor and Ussher, 2001،))، حيث يُنظَّر لافتراضات وبنيات و/أو معاني أوسع على أنها ركيزة يقوم عليها ما جرى توضيحه بالفعل في البيانات. والملاحَظ أن عددا من محللي الخطاب يعودون إلى أنماط التأويل التحليل-نفسية psycho-analytic على نحو متزايد (على سبيل المثال، Hollway and Jefferson, 2000)، والتحليل الموضوعاتي الكامن يتوافق مع هذا الإطار.

---

18 تعريف وياتزيس Boyatzis (1998) للكامن والظاهر أضيق إلى حد ما من تعريفنا للكامن والدلالة؛ فهو يعرف التحليل الموضوعاتي بأنه دمج كل من الجوانب الكامنة والظاهرة. ومع ذلك، فإن هذا ناتج عن حقيقة أنه يربط سيرورة التأويل بالتحليل الكامن - في حين أننا قد نجادل بأنه يجب أن يكون أيضًا عنصرًا مهمًا في المقاربة الدلالية.

القرار الخامس: اعتماد إبستمولوجيا التحليل الموضوعاتي الجوهري-الواقعي في مقابل إبستمولوجيا التحليل الموضوعاتي البنائي

كما حاججنا من قبل، يمكن إجراء التحليل الموضوعاتي ضِمْنَ كل من البراديغمين الواقعي/الجوهري والبنائي، لكن ما ينتجه كل منهما، وما يركز عليه، سيكون مختلفا. ومع أن العادة قد جرت بأن يُحسَم في مسألة الإبستمولوجيا هذه عند وضع تصور مشروع البحث، فإنها قد تُطل برأسها مرة أخرى في أثناء التحليل، وذلك عندما يتحول التركيز البحثي إلى الاهتمام بجوانب مختلفة من البيانات. ودور إبستمولوجيا البحث هو أن توجِّه ما يمكنك قوله عن بياناتك، وتُعْلِمَك كيف تُنظِّر للمعنى. فمثلا، إن اتخذتَ مقاربة واقعية/جوهرية، أمكَنك التنظِّير للدوافع والخبرة والمعنى بطريقة مباشرة، لأن هذه المقاربة تَفترض وجود علاقة بسيطة أحادية الاتجاه، إلى حد بعيد، بين المعنى والخبرة واللغة (تعكس اللغة المعنى والتجربة وتمكننا من التعبير عنهما) (Potter and Wetherell, 1987; Widdicombe and Wooffitt, 1995).

وفي المقابل، إن اتخذتَ المنظور البنائي، فستجد أن المعنى والخبرة ليسا كامنين داخل الأفراد، وإنما يُنتجان ويعاد إنتاجهما اجتماعيا (Burr, 1995). لذلك، لا يسعى التحليل الموضوعاتي المنجَز في إطار البنائية، إلى التركيز على التحفيز أو علم النفس الفردي، ولا يمكنه ذلك، بل يسعى بالأحرى إلى التنظير للسياقات الاجتماعية والثقافية والظروف البنيوية التي تتيح الأداءات الفردية المقدَّمة. وبهذا، يميل التحليل الموضوعاتي الذي يركز على الموضوعات «الكامنة» إلى أن يكون أكثر بنائية، ويميل أيضا، في هذه المرحلة، إلى التداخل مع تحليل الخطاب الموضوعاتي؛ ومع ذلك، ليست كل التحليلات الموضوعاتية «الكامنة» بنائية.

القرار السادس: الأسئلة المتعددة للبحث الكيفي

يجدر الإلماع إلى أن البحث الكيفي يتضمن سلسلة من الأسئلة، والحاجة قائمة إلى توضيح العلاقة بينها. أولا، هناك سؤال أو أسئلة البحث الشاملة التي تقود المشروع. وقد يكون سؤال البحث واسعا جدا (واستكشافيا)، مثل: «كيف تُبنى والدية parenting المثليين والمثليات؟» أو «ما معاني المهبل؟»، وقد تكون أسئلة البحث أضيق، مثل: «كيف يُطَبَّع مع والدية المثليين، ولماذا؟» (Clarke and Kitzinger, 2004)، أو «ما الخطابات الدائرة حول حجم المهبل؟» (انظر Braun and Kitzinger, 2001). هذه الأسئلة الضيقة قد تكون جزءا من سؤال بحث شامل أوسع، وإن كان الأمر كذلك، فإن التحليلات المقدَّمة ستوفر أيضا إجابات عن سؤال البحث الشامل. ومع أن المشاريع جميعها تَسترشد بأسئلة بحثية، فمن الممكن أيضا تنقيحها مع تقدم المشروع.

ثانيا، إذا تَمَّ جمع بياناتٍ من المقابلات أو من مجموعات بؤرية، فهناك الأسئلة التي أجاب عنها المشاركون. وأخيرا، هناك الأسئلة الموجِّهة لترميز البيانات وتحليلها، إلا أنه لا توجَد علاقة ضرورية بين هذه الأنواع الثلاثة من الأسئلة، بل كثيرا ما يُفضَّل الفصل بينها. ومن أسوأ ما قرأنا من أمثلة التحليل «الموضوعاتي» نذكر تلك التي

تستعمل ببساطة الأسئلة الموجَّهة إلى المشاركين على أنها هي «الموضوعات» المتعرَّفة في «التحليل»، مع أنه، في مثل هذه الحالات، لم يُجر أي تحليل على الإطلاق!

ونقول إجمالا، إن التحليل الموضوعاتي ينطوي على البحث عَبْرَ مجموعة بيانات _ سواء أكانت عددا من المقابلات أم مجموعات التركيز أم مجموعة من النصوص_ للعثور على أنماط من المعنى متكررة. وكما وضحنا سابقا، فإن الشكل والمنتَج الدقيق للتحليل الموضوعاتي يكون متنوعا؛ ولذا، من المهم أن يجاب عن الأسئلة الموضَّحة آنفا قبل إجراء التحليلات الموضوعاتية وفي أثنائها.

كثيرا ما تميل المناهج ذات النزعة البنائية، التي تُعنى بجوانب محدَّدة وموضوعات كامنة، إلى التجمع معا؛ في حين تميل المناهج ذات النزعة الواقعية، التي تُعنى بالمعاني الحاضرة عَبْرَ مجموعة البيانات بكاملها والموضوعات الدلالية، إلى التجمع معا. ومع ذلك، لا توجد قواعد حاسمة وسريعة بخصوص هذا الأمر، والتوليفات المختلفة بين هذه المناهج تظل ممكنة. لكن المهم في الأمر هو أن يحتوي المنتَج النهائي على سرد - غير مفصل بالضرورة - لما جرى القيام به، ولماذا.

بعد كل هذا، ما الذي يمكن للمرء القيام به فعليا؟ نُقدِّم الآن ما نأمل أن يكون دليلا مباشرا، خطوة خطوة، لإجراء التحليل الموضوعاتي.

ثانيا: دليل إجراء تحليل موضوعاتي، خطوة خطوة

تتشابه بعض مراحل التحليل الموضوعاتي مع مراحل البحث الكيفي الأخرى. لذا، لا ينفرد التحليل الموضوعاتي بهذه المراحل كلِّها بالضرورة. تبدأ سيرورة التحليل عندما يلاحِظ المحلل أنماطا من المعنى والقضايا ذات الأهمية المحتملة في البيانات ويبحث عنها، وقد يكون هذا في أثناء جمع البيانات، وتُختتم هذه السيرورة بكتابة تقرير عن محتوى الأنماط (موضوعات) ومعناها في البيانات، حيث «الموضوعات هي بنيات مجرَّدة (وكثيرا ما تكون غائمة) يحدِّدها المحققون [كذا sic] قبل التحليل وأثناءه وبعده» (Ryan and Bernard, 2000: 780). وبهذا، نجد أن التحليل يتضمن حركة مستمرة، جيئة وذهابا، بين مجموعة البيانات بأكملها، والمقتطفات المُرَمَّزَة من البيانات المحللة، والتحليل المنتَج عن هذه البيانات. أمّا الكتابة، فجزء لا يتجزأ من التحليل، وليست شيئا يَحدث في الختام، كما هو الحال مع التحليلات الإحصائية. لهذا، ينبغي بدء الكتابة في المرحلة الأولى؛ أي مع تدوين الأفكار وخطاطات الترميز المحتملة، والاستمرار فيها مباشرة طوال عملية الترميز/التحليل بأكملها.

تختلف الآراء في تعيين الوقت الذي ينبغي لك فيه التعامل مع الأدبيات ذات الصلة بتحليلك؛ إذ يدافع بعضهم عن أن القراءة المبكرة قد تُضيِّق مجال رؤيتك التحليلية، ما يؤدي بك إلى التركيز على جوانب من البيانات على حساب أخرى قد تكون بالغة الأهمية؛ في حين يُدافع آخرون عن أن التعاطي مع الأدبيات يمكن

أن يعزز تحليلك، وذلك بإرهاف حسك حتى يصير قادرا على التقاط مظاهر أكثر خفاء في البيانات (Tuckett, 2005). لذلك، لا توجد طريقة صحيحة وحدها للمضي قدما في القراءة من أجل التحليل الموضوعاتي، إلّا أنك إن سلكتَ المقاربة الأكثر استقرائية، فيمكنك تعزيزها بعدم التعاطي مع الأدبيات في المراحل الأولى من التحليل، وإن سلكتَ المقاربة النظرية، فالأمر يتطلب منك التعاطي مع الأدبيات قبل التحليل.

للتحليل الموضوعاتي ستة أطوار phases، وسنُقدِّم دليلا تفصيليا عنها، ونوفِّر أمثلة لتوضيح السيرورة المتبعة في كل منها[19]، والجدول رقم (1) يلخص هذه الأطوار. لكن، ينبغي لك إدراك أن إرشادات التحليل الكيفي هي تحديدا- ليست قواعد، واتباع التعاليم الأساسية سيتطلب منك المرونة في تطبيقها لتلائم أسئلة البحث والبيانات (Patton, 1990). إضافة إلى ذلك، ليس التحليل سيرورة خطية للانتقال ببساطة من طور إلى آخر، وإنما هو بالأحرى سيرورة أكثر تكرارية recursive، الحركة فيها تكون، حسب الحاجة، جيئة وذهابا من أقصى أطوار التحليل إلى أقصاه، وهو أيضا سيرورة تتطور بمرور الوقت (Ely et al،. 1997)، ولا ينبغي التعجل فيها.

جدول 1 أطوار التحليل الموضوعاتي

الطور	وصف السيرورة
1. خلق الألفة مع بياناتك:	تفريغ البيانات كتابة (إن لزم الأمر)، قراءة البيانات وإعادة قراءتها، تدوين الأفكار الأولية.
2. توليد رموز أولية:	ترميز نسقي للملامح المثيرة للاهتمام في البيانات عَبْرَ مجموعة البيانات بأكملها، وتبويب[20]* collating البيانات ذات الصلة بكل رمز.
3. البحث عن الموضوعات:	تبويب الرموز في موضوعات محتملة، تجميع البيانات ذات الصلة بكل موضوعة محتملة.
4. مراجعة الموضوعات:	التحقق هل الموضوعات تعمل في علاقة بالمقتطفات المُرَمَّزَة (المستوى1) وبمجموعة البيانات بأكملها (المستوى 2)؟ وإنشاء «خريطة» موضوعاتية للتحليل.
5. تعريف الموضوعات وتسميتها:	تحليل مستمر لتشذيب تفاصيل كل موضوعة والقصة الشاملة التي يرويها التحليل، وإنشاء تعريفات وأسماء واضحة لكل موضوعة.
6. إصدار التقرير:	الفرصة الأخيرة للتحليل. اختيار نماذج من مقتطفات حية ومقنعة، والتحليل النهائي لمقتطفات مختارة، ربْطُ آخر جزء من التحليل بسؤال البحث والأدبيات، وإنتاج تقرير عالِمscholarly report عن التحليل.

19 نَفترض أنك تعمل على متن بيانات ومجموعة بيانات «جيدة الكيفية». ويمكننا القول إن «البيانات الجيدة» تحدَّد بمجموعة من المعايير المتعلقة ب: ماذا ولماذا وكيف جُمعت، وبتقديم عروض غنية ومفصلة ومعقدة عن الموضوع. لا تكتفي البيانات الجيدة بمجرد توفير نظرة عامة عن سطح الموضوع الذي نهتم به، أو تكرر ببساطة استعراض ما يراه الحس المشترك. التحدي الذي يواجه الباحث المبتدئ هو التفاعل مع المشاركين في البحث بطريقة تولد رؤى غنية ومعقدة. ويُعَدُّ إنتاج تحليل جيد للبيانات ذات الجودة الرديئة مهمة صعبة، مع أنه من المحتمل أن يقوم بها محلل ماهر وذو خبرة.

20* Collating تدل لغة على الترتيب وفق خاصية مُعيَّنة (فرز) ثم تجميع العناصر المتشابهة في أصناف (تنسيق). كأن تكون أمامك رزمة أوراق ملونة، فتميز بينها حسب اللون مثلا، ثم تضم كل لون إلى مشابهيه فتحصل على مجموعات متشابهة. انظر:

"Collate." Merriam-Webster.com Dictionary, Merriam-Webster, https://www.merriam-webster.com/dictionary/collate. Accessed 11 Feb. 2023

الطور الأول: مؤالفة البيانات

البيانات التي تنخرط في تحليلها قد تكون جمعتها بنفسك أو قد تكون أُعْطِيَت إليك؛ في حال جمعك لها بوسائل تفاعلية، فستأتي إلى التحليل بمعرفة مسبقة بالبيانات، وربما باهتمامات أو أفكار تحليلية أولية، لكن، مَهما يكن الأمر؛ فمن الضروري أن تنغمس في البيانات إلى الحد الذي تصبح معه مستأنسا بعمق المحتوى واتساعه. وعادة ما يتضمن الانغماس «القراءة المتكررة» للبيانات، وقراءتها قراءة فاعلة - بحثا عن المعاني والأنماط وما إلى ذلك. والخليق بك أن تقرأ مجموعة البيانات بأكملها، مرة واحدة على الأقل، قبل أن تبدأ الترميز؛ فكلَّما قرأتَ، تشكلتِ الأفكار وتحدَّدتِ الأنماط المحتملة.

وسواء أكنت ترمي إلى إجراء تحليل مجمل أو مفصل، أم كنت تبحث عن موضوعات كامنة أو دلالية، أم كنت موجها بالبيانات أو موجَّها بالنظرية، ستحاط علما بكيفية سير القراءة؛ ومهما يكن ما ترمي إليه، فمن المهم أن تكون قد أَلِفت جميع جوانب بياناتك. في هذا الطور، سيتضح أحد الأسباب التي من أجلها يميل البحث الكيفي إلى استعمال عينات أصغر بكثير، قياسا إلى بحث الاستبانة مثلا، وهو أن قراءة البيانات وإعادة قراءتها تستفذ وقتا طويلا. لذلك، قد تُغرى بتخطي هذا الطور أو تلجأ إلى الانتقائية، ونحن نُحذِّر بشدة من هذا الإغراء؛ لأن هذا الطور هو الأساس لبقية التحليل.

في غضون هذه المرحلة، من الجيد أن تبدأ بتدوين الملاحظات أو وسم marking الأفكار لترميزها؛ لأنك ستعود إليها في الأطوار اللاحقة. وبمجرد أن تفعل هذا، ستكون مستعدا لبدء سيرورة الترميز الأكثر رسمية؛ لكن، لا تنس أنك ستستمر في تطوير الترميز وتحديده طوال التحليل برمته.

تفريغ البيانات اللفظية

إن كنتَ تعمل على بيانات شفهية، كالمقابلات والبرامج التلفزيونية والخطب السياسية، فستحتاج إلى تفريغ البيانات كتابة لإجراء تحليل موضوعاتي. ومع أن عملية التفريغ تستغرق وقتا طويلا، وقد تكون محبطة، بل ومملة أحيانا، فإنها قد تكون منهجا ممتازا لبدء الألفة بالبيانات (Riessman, 1993). زيادة على ذلك، من الباحثين من يُحاج عن وجوب النظر إلى هذا الطور على أنه «مفتاحي في تحليل البيانات في إطار المنهجية الكيفية التأويلية» (Bird, 2005: 227)، وهو يحظى بالاعتراف بوصفه فعلا تأويليا تُنشأ فيه المعاني، بدل أن يكون مجرد فعل ميكانيكي تسجل به الأصوات المنطوقة على الورق (Lapadat and Lindsay, 1999).

توجد مواضعات متنوعة لتحويل النصوص المنطوقة إلى نصوص مكتوبة (انظر Edwards and Lampert, 1993; Lapadat and Lindsay, 1999)، وبعض أنظمة التفريغ طُوِّرت من أجل ضروب محدَّدة من التحليل - مثل نظام جيفرسون «Jefferson» في التحليل النقدي (انظرAtkinson and Heritage, 1984; Hutchby and Wooffitt, 1998). ومع ذلك، فإن التحليل الموضوعاتي، وحتى التحليل الموضوعاتي البنائي، لا يتطلب في

التفريغ القدر نفسه من التفاصيل الذي يتطلبه تحليل المحادثة وتحليل الخطاب وحتى التحليل السردي. وكما أنه لا يوجد منهج وحيد لإجراء تحليل موضوعاتي، لا توجد مجموعة وحيدة من الإرشادات يجب اتباعها عند إنتاج نسخة مكتوبة. ومع ذلك، فإن الأمر يتطلب على الأقل نسخة مكتوبة «إملائية orthographic» صارمة وشاملة - أي، سرد «حَرْفي» لجميع الكلام الملفوظ[21] (وأحيانا غير الملفوظ - كالسعال مثلا)؛ إذ المهم في الأمر هو أن تحتفظ النسخة المفرَّغة بالمعلومات المطلوبة من السرد اللفظي، وأن تُمثِّل تمثيلا «صادقا» طبيعتها الأصلية (مثلا، قد تغير علامات الترقيم المقحمة معنى البيانات - على سبيل المثال «أنا أكره ذلك، أنت تعلم، أنني أفعل.» مقابل «أنا أكره ذلك. أنت تعلم أنني أفعل»*[22]، (Poland, 2002: 632)، وأن تكون النسخة المفرَّغة المتفق عليها مناسبة عمليا للغرض من التحليل (Edwards, 1993).

وكما ألمحنا آنفا، فالوقت الذي تقضيه في التفريغ ليس مهدورا؛ لأن مراحل التحليل الأولى به تسترشد، وأثناءه يتطوَّر فهْم أشمل وأعمق للبيانات. إضافة إلى ذلك، قد يُيَسِّر الاهتمام الوثيق الذي يتطلبه تفريغ البيانات كُلّا من القراءة الدقيقة والمهارات التأويلية والمهارات اللازمة لتحليل البيانات (Lapadat and Lindsay, 1999). وإذا كان تفريغ بيانتك قد تَمَّ بالفعل، أو كانت ستُفرَّغ من أجلك، فمِن المهم أن تقضي وقتا أطول في خلق الألفة بالبيانات، وفي مقارنة النُسخ المكتوبة، مرة أخرى، مع التسجيلات الصوتية الأصلية لتتيقن «دقتها» (وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال دائما).

مقتطف من البيانات	رمز لـ
إنه أشبه بالعمل الشاق، أعني مقدار الورق الذي يجب عليك توقيعه لتغيير اسم Flippin؛ لا أعني لا، أنا لا... لقد فكرنا في الأمر (غير مسموع) بحماس شديد وفكرنا، لا... لا... أنا... فق - لا يمكنني أن أكون مزعجة، إنه يشبه إلى حد بعيد العمل الشاق. (Kate F07a)	1. تحدث عن الأمر مع شريك. 2. الكثير من المتاعب لتغيير الاسم.

شكل 1 مقتطف بيانات مع الترميز المطبق عليه (from Clarke et al., 2006)

الطور الثاني: توليد الرموز البدْئية

يبدأ الطور الثاني عندما تقرأ البيانات وتَأْلفها، وتكون قد أنشأت قائمة أفكارٍ أولية بما يوجد في البيانات وما هو مثير للاهتمام فيها. وعليه، يتضمن هذا الطور إنتاج رموز أولية من البيانات. وهذه الرموز تحدد مَلْمحا في البيانات (المحتوى الدلالي أو الكامن) يبدو مثيرا لاهتمام المحلل، وتشير إلى «أبسط جزء أو عنصر من البيانات الخام أو المعلومات التي يمكن الحكم بأهميتها في علاقة بالظاهرة المدروسة» (Boyatzis, 1998: 63). انظر الشكل رقم (1) للحصول على مثال للرموز المطبَّقة على شريحة قصيرة من البيانات. واعلم أن سيرورة الترميز هي جزء من التحليل (Miles and Huberman, 1994)، حيث تُنظِّم بياناتك في مجموعات دالة (Tuckett,

21 انظر بولند Poland (2002) لمناقشة المشكلات المتعلقة بفكرة النسخ «الحَرْفي»، وما يستبعد من هذه العملية وما يحتفظ به.

22* في الجملة الأولى، المتحدث يشك أو يهزل في إعلانه الكراهية، أمّا في الثانية فهو موقن جاد في كلامه، وعلامات الترقيم المستخدمة تغير المعنى من الجد واليقين إلى الشك والهزل: ‘I hate it, you know. I do ;’ versus ‘I hate it. You know I do’

2005). ومع ذلك، فإن بياناتك المُرَمَّزَة تختلف عن وحدات التحليل (موضوعاتك) التي تكون (في كثير من الأحيان) أوسع نطاقا. وموضوعاتك، التي ستبدأ تطويرها في الطور الآتي، هي المكان الذي يحدث فيه التحليل التأويلي للبيانات في علاقة بنوع الحجج التي تقدمها بخصوص الظاهرة المفحوصة (Boyatzis, 1998).

يَعتمد الترميز، إلى حد ما، على هل الموضوعات أكثر «اعتمادا على البيانات» أو «اعتمادا على النظرية»- في الحالة الأولى، ستعتمد الموضوعات على البيانات، لكن في الثانية، يمكنك مقاربة البيانات بأسئلة محدَّدة في ذهنك ترغب في الترميز وفقا لها. وسيَعتمد الترميز أيضا على ما إذا كنتَ ترمي إلى ترميز محتوى مجموعة البيانات بأكملها، أو كنتَ تُرمِّز كي تحدِّد ملامح مُعيَّنة (وربما محدودة) في مجموعة البيانات. ويمكن تنفيذ الترميز إمّا يدويا وإمّا ببرانم software programme (انظر، على سبيل المثال، Kelle, 2004; Seale, 2000, لمناقشة البرانم).

اعمل على مجموعة البيانات بأكملها على نحو نسقي، وأولي كل عنصر بيانات اهتماما كاملا ومتساويا، وحدِّد الجوانب المثيرة للاهتمام فيه، والتي قد تشكِّل أساس الأنماط المتكررة (الموضوعات) عَبْرَ مجموعة البيانات. واعلم أن هناك فعليا عددا من الطرائق لترميز المقتطفات؛ فإذا كان الترميز يدويا، يمكنك ترميز بياناتك بكتابة الملاحظات على النصوص التي تحللها، أو باستعمال أقلام التحديد **highlighters** أو الأقلام الملونة للإشارة إلى الأنماط المحتملة، أو باستعمال ملاحظات «الأوراق لاصقة» post-it لتحديد شرائح البيانات.

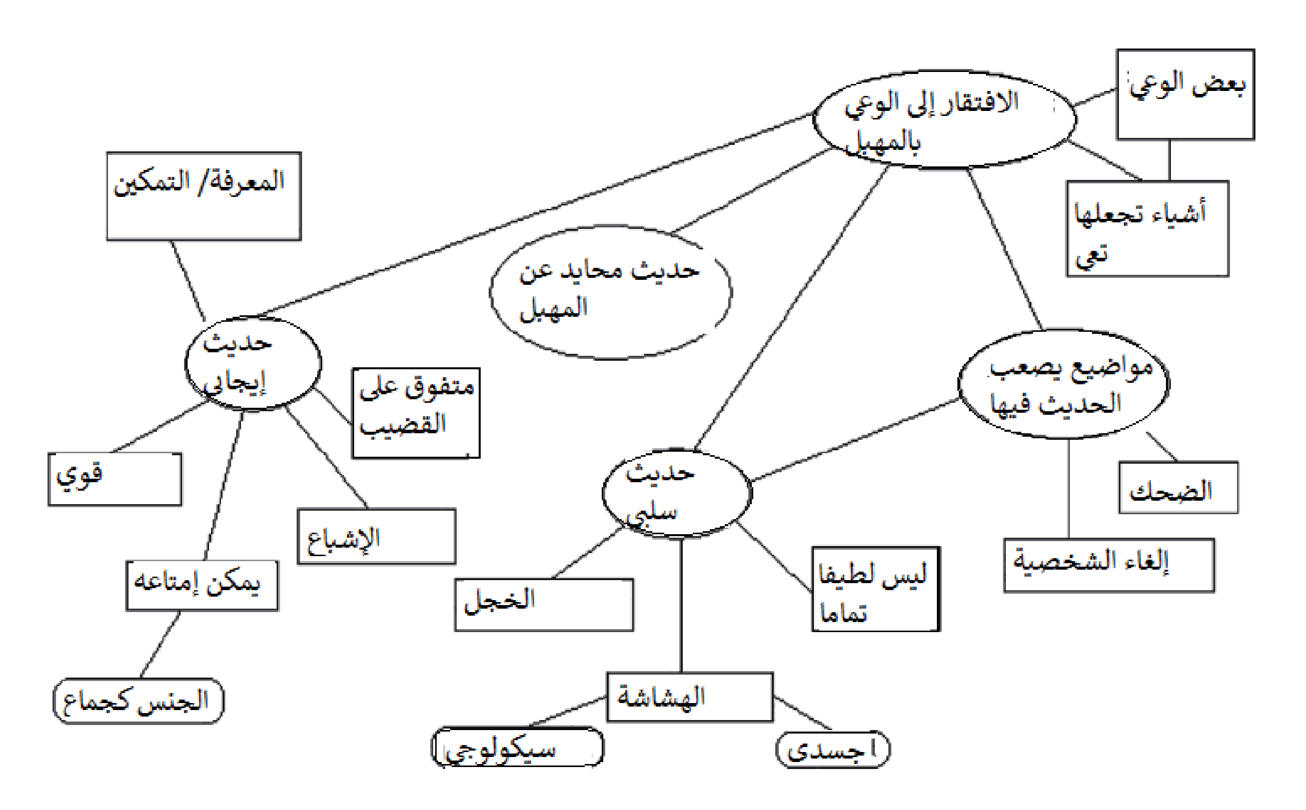
يمكنك بداية تحديد الرموز، ثم مطابقتها مع مقتطفات البيانات الموضِّحة لها، وفي هذا الطور من المهم أن تَسْتَوثِق من أنك رمَّزت فعْلا مقتطفات البيانات جميعها، وبوَّبتها بعد ذلك تحت كل رمز من الرموز. وهذا قد يتضمن نسْخَ مقتطفات بيانات من مخطوطات transcripts فردية أو تصوير مقتطفات من بيانات مطبوعة، وتبويب كل الرموز مع بعضها بعضا في ملفات حاسوب منفصلة أو باستعمال بطاقات الملفات file cards. وإن كنت ستستخدم برانم الحاسوب، فرمِّز بوضع علامةَ تسم النصوص المختارة من كل عنصر بيانات.

النصائح الرئيسة لهذا الطور هي كالآتي: (أ) رمّز أكبر عدد ممكن من الموضوعات/الأنماط المحتملة (إذا سمح الوقت بذلك) – فأنت لا تعرِف أبدا ما قد يغدو مثيرا للاهتمام لاحقا؛ (ب) رمّز ما تقتطفه من البيانات ترميزا شموليا – لكن، استبق شيئًا من البيانات المحيطة إن كانت ذات صلة، وذلك تجنبا للانتقاد الشائع للترميز بأنه يضيع السياق (Bryman, 2001)؛ (ج) وتذَكّر أن مقتطفات مفردة من البيانات يمكن ترميزها بقدر «الموضوعات» المختلفة التي تتناسب معها – ومن ثَمَّ، فَلَكَ إلغاء ترميزِ مقتطفٍ ما أو ترميزه مرة واحدة أو عدَّة مرات، كلَّما كان ذلك ذا صلة. ولاحظ أيضا أنه لا توجد مجموعةُ بياناتٍ تخلو من التناقض، وأن «الخريطة» الموضوعاتية المَرْضية التي ستنتجها في النهاية- أي وضع مفهوم شامل لأنماط البيانات، والعلاقات فيما بينها[23]- لا يجب عليها تجاهل أو تخفيف التوترات والتناقضات الواردة ضِمْنَ عناصر البيانات وعبرها؛ فمن المهم أن تحتفظ بالروايات التي تحيد عن القصة المهيمنة في التحليل، لهذا، لا تُسقط هذه الروايات من ترميزك.

23 ما نعنيه بالخريطة الموضوعاتية يشبه، ولكن على نحو أقل تفصيلاً، «كتاب الشفرات» الوارد ذكره عند ريان وبرنارد Ryan and Bernard (2000)، والذي يتضمن وصفًا مفصلاً للعلاقة الهرمية بين الرموز، إضافة إلى تقديم وصف لكل منها ومعاييره ونماذجه وأمثلة له وأمثلة مضادة عنه وتفاصيل أخرى من هذا القبيل. نجد في عرض Boyatzis (1998) للشفرة الموضوعاتية مثالا لتطبيق هذا النموذج (ومراجعته فيما يتعلق) على بالبيانات. انظر الأشكال 2-4 للتمثيلات المرئية للخرائط الموضوعاتية وتحسينها. يمكن العثور على مثال آخر للخريطة الموضوعاتية - هذه المرة في شكل جدول - في Frith and Gleeson (2004).

الطور الثالث: البحث عن موضوعات

يبدأ الطور الثالث، عندما يَتِّم ترميز البيانات وتبويبها بصورة أولية، وتكون في حوزتك قائمة طويلة من الرموز المختلفة التي تعرَّفتها عَبْرَ مجموعة البيانات. في هذا الطور، يعاد تركيز التحليل على المستوى الأوسع للموضوعات بدلا من الرموز، وتُفرَز sorting الرموز المختلفة فرزا يتيح تصنيفها في موضوعات محتمَلة، وتبوَّب جميع مقتطفات البيانات المُرَمَّزَة ذات الصلة ضِمْنَ الموضوعات المحدَّدة. والجوهري في الأمر، أن تبدأ تحليل الرموز الخاصة بك، والنظر في كيفية مزج الرموز المختلفة لبناء موضوعة شاملة. قد يفيدك في هذا الطور استعمال تمثيلات مرئية تعينك على فرز الرموز المختلفة إلى موضوعات؛ وذلك كالجداول والخرائط الذهنية، وكتابة اسم كل رمز (مع وصف موجز) على قطعة منفصلة من الورق وتسلية نفسك بتنظيمها في أكوم- موضوعات. انظر خريطة موضوعاتية لهذه المرحلة المبكرة في الشكل رقم (2) (الأمثلة في الأشكال رقم 2-4 مستقاة من التحليل الوارد عند براون وويلكينسون Braun and Wilkinson، 2003 عن حديث النساء عن المهبل)، كل هذا سيحدث عندما تبدأ التفكير في العلاقة بين الرموز، وبين الموضوعات، وبين المستويات المختلفة من الموضوعات (على سبيل المثال، الموضوعات الشاملة الرئيسة والموضوعات الفرعية ضمنها).



شكل 2 خريطة موضوعاتية أولية، تعرض خمس موضوعات رئيسة (التحليل النهائي مقدم عند Wilkinson, 2003 (Braun and

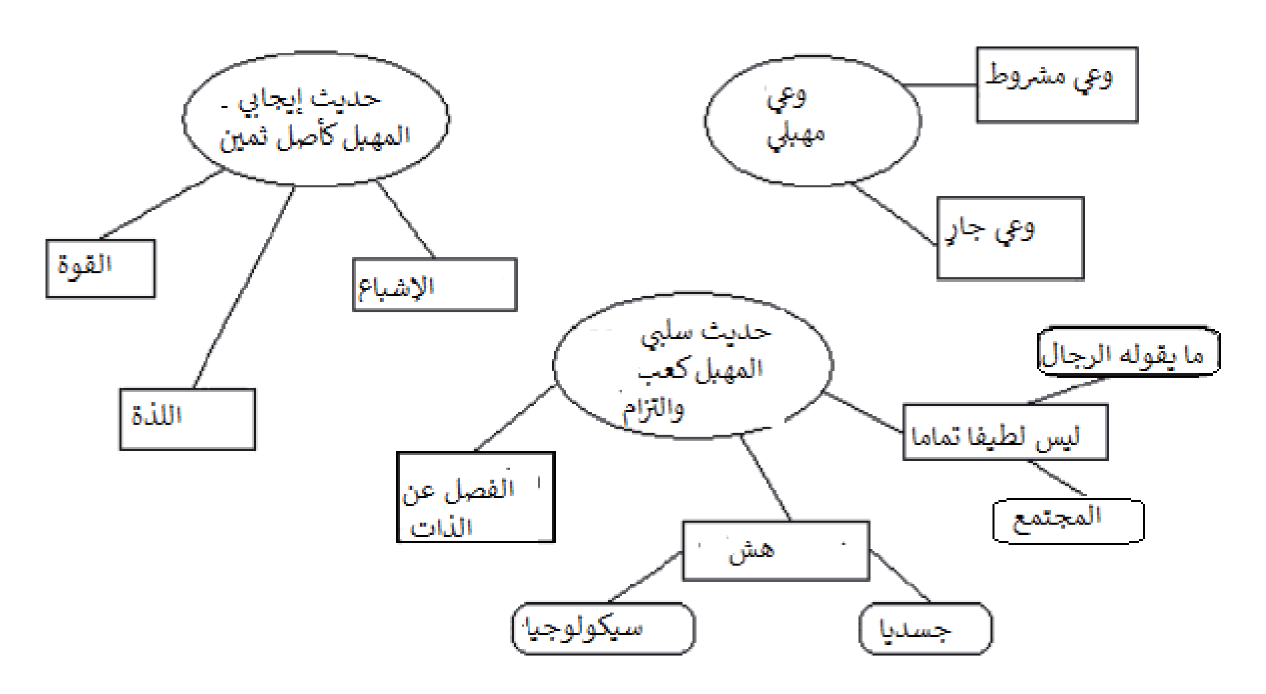
بعض الرموز الأولية قد تمضي قُدما لتكوِّن موضوعات رئيسة، وبعضها قد يكوِّن موضوعات فرعية، في حين يبقى بعضها الآخر مستَبعدا، بل ستجد أيضا، في هذا الطور، مجموعة من الرموز لا يبدو أنها تنتمي إلى أي مكان. وتذكر أنه من المقبول تماما إنشاء «موضوعة» تسمى «مختلفات» miscellaneous لاستضافة الرموز - ربما مؤقتا - التي لا تتناسب مع موضوعاتك الرئيسة.

تُختم هذه المرحلة بمجموعة من الموضوعات المرشَّحة، والموضوعات الفرعية، وجميع مقتطفات البيانات التي تَمَّ ترميزها في علاقة بهذه الموضوعات. وهنا، ستبدأ الشعور بأهمية the significance كل موضوعة موضوعة، ومع ذلك، لا تتخلى عن أي شيء في هذا الطور، لأنه ما لم تنظر بالتفصيل في جميع المقتطفات (المرحلة الآتية)، لن تتأكد هل ستبقى الموضوعات كما هي، أو سيُحتاج إلى دمج بعضها ببعض، أو صقلها وفصلها، أو حتى التخلص منها؟

الطور الرابع: مراجعة الموضوعات

يبدأ الطور الرابع، عندما تكون قد وضعتَ devised مجموعة من الموضوعات المرشحة، وعملتَ على تنقيحها. وسيتبين لك في هذا الطور أن بين الموضوعات المرشحة ما ليست موضوعات فعلية (مثلا، إذا لم توجد بيانات كافية لدعمها، أو كانت البيانات متنوعة جدا)، وما قد تنصهر في غيرها (مثلا، موضوعتان منفصلتان ظاهريا، وهُما قد تشكلان موضوعة واحدة)، وما تحتاج إلى أن تفكَّك إلى موضوعات منفصلة. ومِمّا ينبغي أخذه بالحسبان هنا، نَذكر معيار باتون Patton (1990) الثنائي للحكم على الفئات، وهو – التجانس الداخلي وعدم التجانس الخارجي؛ أي إن البيانات الواردة ضِمْنَ within الموضوعة الواحدة يجب أن تترابط مع بعضها ترابطا دالا، في حين يجب أن تقوم اختلافات واضحة وقابلة للتحديد فيما بين between الموضوعات المختلفة.

يشتمل هذا الطور على مستويين من مراجعة الموضوعات وتنقيحها؛ يتضمن المستوى الأول مراجعة مقتطفات البيانات المُرَمَّزَة، وهذا يعني أن عليك قراءة جميع المقتطفات الخاصة بكل موضوعة، وتسأل نفسك: أتُكوِّن نمطا منسجما؟ فإن ظَهر أن الموضوعات المرشَّحة تكوِّن نمطا منسجما، انتقل إلى المستوى الثاني من هذا الطور، وإن كانت غير ملائمة not fit، فانظر لعل الموضوعة نفسها إشكالية أو أن بعض مقتطفات البيانات قد وضِعت ضِمْنَ موضوعة لا تلائمها أو لا تنتمي إليها - وفي هذه الحالة، يمكنك إعادة صياغة موضوعاتك، أو إنشاء موضوعة جديدة، أو العثور على مأوى لتلك المقتطفات التي لا تنتمي حاليا إلى الموضوعة القائمة أو استبعادها من التحليل. وما إن تطمئن إلى أن موضوعاتك المرشحة تلتقط، بما يكفي، ملامح البيانات المُرَمَّزَة - بمجرد أن تمتلِك «خريطة موضوعاتية» مرشَّحة – ستكون مستعدا للانتقال إلى المستوى الثاني من هذا الطور. انظر نتيجة عملية التحسين هذه في الخريطة الموضوعاتية المعروضة في الشكل رقم (3).



شكل 3 خريطة موضوعاتية مطورة تظهر ثلاثة موضوعات رئيسة (التحليل النهائي مقدم في Braun and Wilkinson, 2003

يشتمل المستوى الثاني على سيرورة مشابهة، إلا أنها تتعلق بمجموعة البيانات بأكملها. في هذا المستوى، انظر في صحة validity الموضوعات الفردية في علاقة بمجموعة البيانات كاملة، وانظر كذلك في خريطتك الموضوعاتية المرشحة، أتُمثِّل «بدقة» المعاني الظاهرة في مجموعة البيانات ككل أم لا؟ لكن، ما يُعَدُّ «تمثيلا دقيقا» يَعتمد، إلى حد ما، على نوع مقاربتك النظرية والتحليلية. وعلى أية حال، ففي هذا الطور، أنت تعيد قراءة مجموعة البيانات بالكامل لغرضين: الأول، وكما عرضنا من قبل، هو التأكد هل الموضوعات «تعمل» في علاقة بمجموعة البيانات؟ والثاني هو ترميز أي بيانات إضافية، قد تكون فُوِّتت في مراحل stages الترميز السابقة، ضِمْنَ موضوعات؛ فالحاجة متوقعة إلى إعادة الترميز من مجموعة البيانات؛ لأن الترميز سيرورة تنظيم مستمرة.

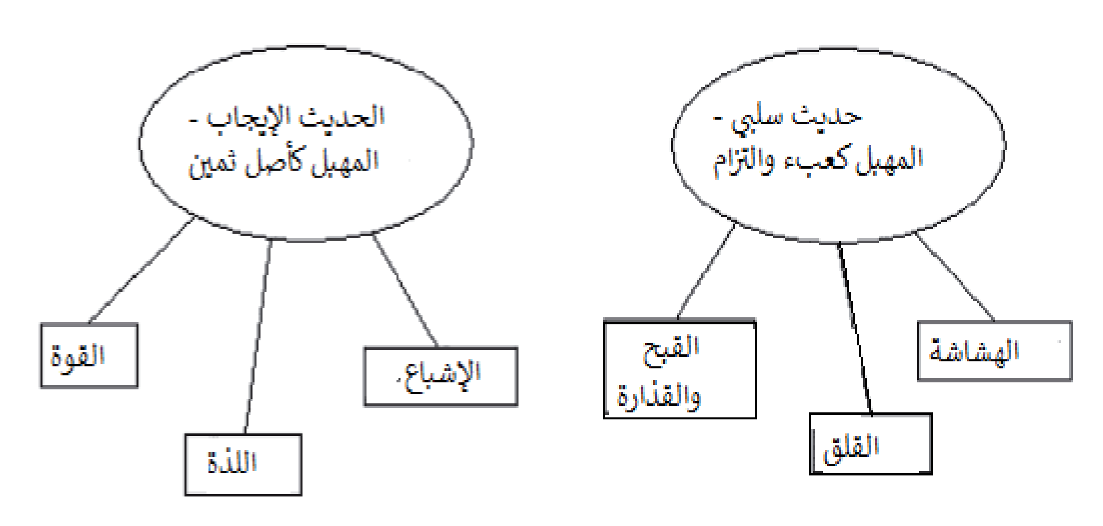
إن وجدتَ أن الخريطة الموضوعاتية تعمل، انتقل إلى الطور الموالي؛ لكن، إن كانت الخريطة لا تناسب مجموعة البيانات، فعليك بالمزيد من المراجعة والتحسين لترميزك، حتى تصل إلى خريطة موضوعاتية مُرضية. وفي أثناء ذلك، قد تَتَعرَّف موضوعات جديدة محتملة، وحينئذ ستحتاج إلى ترميزها أيضا إن كانت ذات أهمية وصِلة. لكن، احذر أن يستمر ترميز البيانات وإنشاء الموضوعات إلى ما لا نهاية ad infinitum، فلا يأخذك الحماس بالمبالغة في إعادة الترميز إلى ما لا نهاية. ومع أن تقديم إرشادات واضحة تُعَيِّن وقت التوقف مستحيل، فإننا نقول: عندما لا تضيف تحسيناتك أي شيء جوهري، توقف! إن وجدتَ أن سيرورة إعادة الترميز لا تقدم إلا تعديلا طفيفا، وكل ما تفعله هو إضفاء مزيد من التدقيق على إطار الترميز الذي هو يعمل بنجاح بالفعل - أي الذي يناسب البيانات جيدا - توقف. ضع في اعتبارك أن الأمر مشابه لتحرير نص مكتوب – ألا

ترى أنه يمكنك تعديل الجمل والفقرات إلى ما لا نهاية، لكن، بعد عِدّة جولات من التحرير، عادة ما يكون أي عمل إضافي تنقيحا غير ضروري؟ إن الأمر مشابه لإعادة ترتيب المئات والآلاف من الإضافات على كعكة هي مزينة جيدا بالفعل.

في ختام هذا الطور، يجب أن يكون لديك فكرة جيدة، إلى حد ما، عن ماهية موضوعاتك المختلفة، وكيف يتلاءم بعضها مع بعض، وعن القصة الإجمالية التي ترويها عن البيانات.

الطور الخامس: تعريف الموضوعات وتسميتها

يبدأ الطور الخامس، عندما تَمتلك خريطة موضوعاتية مُرضية لبياناتك - انظر الشكل رقم (4) للحصول على صورة للتحسينات النهائية لخريطة فرجينيا الموضوعاتية. وحينذاك، ستتعرَّف موضوعاتك وتُدخل عليها مزيدا من التنقيح، وتحلِّل البيانات الواردة ضمنها. ونعني بـ«التعريف والتنقيح» define and refine تعرُّف «جوهر» كل موضوعة (وكذلك الموضوعات الشاملة)، وتحديد أي جوانب البيانات تلتقطه كل موضوعة. ومن المهم ألّا تسعى وراء موضوعة تفعل الكثير، أو تكون شديدة التنوع والتعقيد. ويمكنك تحقيق ما نصحنا به بالرجوع إلى مقتطفات البيانات المبوبَّة لكل موضوعة، وتنظيمها في رواية منسجمة ومتسقة داخليا، ومشفوعة بسردية. ومن الأهمية بمكان ألّا تكتفي فقط بإعادة صياغة محتوى مقتطفات البيانات المقدَّمة، وإنما أن تحدِّد ما هو مهم فيها، ولماذا هو كذلك.



شكل 4 خريطة موضوعاتية نهائية تظهر موضوعتين أساسيتين نهائيتين (انظرBraun and Wilkinson, 2003)

تتطلب كل موضوعة موضوعة إجراء تحليل مفصل وكتابته، إضافة إلى تحديد «القصة» التي ترويها كل منها؛ فمن المهم أن تنظر في كيفية تلاؤم الموضوعات مع «القصة» الشاملة التي ترويها عن بياناتك في علاقة بسؤال البحث أو أسئلته؛ وذلك تفاديا لأي تداخل كبير بين الموضوعات. وعليه، يجب النظر في الموضوعات

نفسها، وأيضا في كل موضوعة في علاقتها بالأخريات. وفي إطار التحسين، ستحتاج إلى تحديد هل الموضوعة تحتوي على موضوعات فرعية أَم لا؟ عِلما أن الموضوعات الفرعية هي في الأساس موضوعات داخل موضوعة، ويمكنها أن تكون مفيدة، خاصة في منح بنية لموضوعة واسعة ومعقدة، وأيضا في إظهار التسلسل الهرمي للمعنى ضِمْنَ البيانات. وعلى سبيل المثال، في واحد من تحليلات فيرجينيا لحديث النساء عن المهبل، تعرَّفت موضوعتين شاملتين في حديثهن؛ وهما: المهبل مسؤولية، والمهبل ثروة asset (Braun and Wilkinson، 2003). وتعرَّفت ضِمْنَ كل موضوعةٍ ثلاثَ موضوعات فرعية؛ فبخصوص المسؤولية، كانت الموضوعات الفرعية هي «البذاءة والقذارة» و«القلق» و«الهشاشة»، وبخصوص الثروة، كانت الموضوعات الفرعية هي «الرضا» و«القوة» و«المتعة». ومع ذلك، فإن هذه الموضوعات النهائية المحتملة والموضوعات الفرعية نتجت عن عملية تنقيح للموضوعات الأولية والموضوعات الفرعية، كما هو موضح في الشكلين رقم (2) و(4).

ببلوغ نهاية هذه الطور، من المهم أن يكون بمقدورك مَيْزُ موضوعاتك من غيرها بوضوح. وكي تختبر هذا، انظر أتستطيع وصف نطاق كل موضوعة ومحتواها في جملتين؟ وإن لم تستطع ذلك، فقد تحتاج هذه الموضوعة إلى مزيد من التنقيح. ومع أنك الآن قد قدَّمت بالفعل عناوين مؤقتة*[24] working titles لموضوعاتك، فهذا هو الوقت المناسب لتبدأ التفكير أيضا بالأسماء التي ستمنحها لها في التحليل النهائي؛ إذ يجب أن تكون الأسماء موجَزة ومقتضبة، وتعطي القارئ، على الفور، فكرة عن فحوى الموضوع.

الطور السادس: إنجاز التقرير

يشتمل الطور السادس على التحليل النهائي وكتابة التقرير، وهو لا يبدأ إلا عندما تَمتلك مجموعة من الموضوعات التي تَمَّ إعدادها بالكامل. وتتمثل مهمة كتابة تحليل موضوعاتي، سواء أكان موجَّها للنشر أم لمهمة بحثية أم لأطروحة، في سرد القصة المعقدة لبياناتك على نحو يقنع القارئ بجدارة تحليلك وصحته. ومن المهم أن يوفِّر التحليل (كتابته write-up إضافة إلى مقتطفات البيانات) سردا موجزا ومنسجما ومنطقيا، وغير مكرور، ومثيرا للاهتمام للقصة التي ترويها البيانات - ضِمْنَ الموضوعات وعبْرها. يجب أن يقدِّم تقريرك أدلة كافية عن الموضوعات الموجودة في البيانات - أي مقتطفات بيانات كافية لإثبات انتشار الموضوعة. ولتحقيق ذلك، انتقي أمثلة حية، أو مقتطفات تجسِّد جوهر الفكرة التي تسعى إلى إثباتها، دون تعقيدات لا داعي لها، وينبغي للمقتطف المنتقى أن يُستطاع تعرُّفه بوصفه مثالا للقضية المدروسة. وعلى كل حال، فإن المأمول في تقريرك هو أن يقدِّم ما هو أكثر بكثير من مجرد توفير البيانات؛ لأن الأمر يتطلب إدماج المقتطفات مع السرد التحليلي الذي يوضح توضيحا مقنعا القصة التي ترويها عن بياناتك، كما يُنتظر من سردك التحليلي أن يتجاوز الاكتفاء بوصف البيانات، وأن يقدِّم مرافعة make an argument بخصوص سؤال بحثك.

24* ترتبط كلمة working بالعمل، لكنها تُستعمل للإشارة إلى خطة أو فكرة أو معرفة غير كاملة إلا أنها جيدة بما يكفي لتكون مفيدة. انظر:

Definition of working from the Cambridge Advanced Learner's Dictionary & Thesaurus © Cambridge University Press.

ثالثا: التحديد الدقيق لما يستلزمه فعلا التحليل التأويلي

يصعب تحديد ما الذي يستلزمه التحليل التأويلي بالضبط، خاصة أن مواصفاته تتنوع من دراسة إلى أخرى. ومع هذا، نوصي، في خطوة أولى، بالاطلاع على الأمثلة المنشورة للتحليل الموضوعاتي، لا سيما تلك التي تخطط لاستعمالها (لكن نظرا إلى أن التحليل الموضوعاتي كثيرا ما لا يسمى منهجا في كثير من البحوث، يصعب نوعا ما الوقوف على أمثلة له، لكن يمكنك العثور على بعض النماذج، على سبيل المثال عند Ellis and Kitzinger, 2002; Kitzinger and Willmott, 2002; Toerien and Wilkinson, 2004). ولأخذ فكرة عن نوع الأسئلة التي ينبغي لك طرحها على بياناتك، وعن نوع الدعاوى التحليلية التي تسعى إلى تقديمها، سنناقش مثالا جيدا للتحليل الموضوعاتي الاستقرائي على وجه الخصوص، والذي يشدِّد على فهم تجارب الرجال في علاقة بالسياق الاجتماعي الأوسع (انظرFrith and Gleeson, 2004).

سعى فريث وجليسون Frith and Gleeson (2004) إلى استكشاف كيفية تأثير مشاعر الرجال نحو أجسادهم على سلوكهم في ارتداء الملابس، واستخدما في ذلك بيانات جمعت باستبانات كيفية شملت 75 رجلا أجابوا عن هذا السؤال. وقد قدَّما تقريرا عن أربع موضوعات هي: الجدوى العملية من اختيارات الملابس، وعدم الاهتمام بالمظهر، واستعمال الملابس لإخفاء الجسد أو كشفه، وأخيرا، استعمال الملابس لتناسب المُثل الثقافية. والملاحظ أن كل موضوعة ترتبط ارتباطا واضحا بسؤال البحث العام، مع أن كلّا منها متميز بذاته. وقد قدَّم الباحثان فهما واضحا لنطاق كل موضوعة وتنوعها؛ وذلك باستعمال مزيج من السرد التحليلي ومقتطفات توضيحية من البيانات، وعند الاقتضاء، كانا يوسِّعان نطاق تحليلهما، وينتقلان من المستوى الوصفي إلى التأويلي (غالبا ما يربطان ادعاءاتهم بما هو معروف من أدبيات في الموضوع)؛ فعلى سبيل المثال، منحا الحديث القائل: «الرجال يُقدِّرون ما هو عملي» دلالة في علاقة بالمعايير والقوالب النمطية المحدِّدة للأدوار الجنسية gender، وربطا الروايات الفردية التي قدمها الرجال بالتوقعات التي تُنتظر منهم – بوصفهم أعضاء في المجتمع. إن ما فعله فريث وجليسون، بوصفهما محللين، هو ربط أنماط المعاني الواردة في أجوبة الرجال المشاركين في البحث بالتحليل الأكاديمي لكيفية عمل النوع الاجتماعي. وبهذا، وضَّحا الموقف المزدوج الذي يحتاج المحللون إلى اتخاذه، وهو أن يكونوا أعضاء members في الثقافة التي يدرسونها وفي الوقت نفسه معلِّقين commentators عليها. هذا فضلا عن أنهما قدَّما، في قسم «المناقشة» من بحثهما، بيانات تحليلية أوسع عن القصة الإجمالية التي تخبرنا بها الموضوعات عن علاقة الرجال بالملابس. وقد كشفت هذه القصة أن الرجال «يستعملون الملابس عن قصد وعلى نحو استراتيجي للتلاعب بمظهرهم للوفاء بالمُثل الثقافية للذكورة» (Frith and Gleeson, 2004: 45)، وهذا مسلك جرت العادة بربطه بالنساء خاصة. لقد قدّم هذا التحليل إسهاما مُهما، لأنه تحدى المعتقدات المتجذرة عن الملابس/المظهر والذكورة.

يوضح هذا المثال أن ادعاءاتك التحليلية تحتاج إلى الارتكاز على «سطح» البيانات، وفي الوقت نفسه تجاوزه إلى ما وراءه، وذلك حتى في ما يخص تحليل المستوى «الدلالي». أمّا نوع الأسئلة التي تحتاج إلى طرحها،

في المراحل الختامية من تحليلك، فتشمل: «ما معنى هذه الموضوعة؟» و«على أي افتراضات تقوم؟» و«ما الآثار المترتبة عليها؟» و«ما الشروط التي قد تكون وراء ظهورها؟» و«لماذا يتحدث الناس عن هذا الشيء على هذا النحو (دون سواه)؟» و«ما القصة الإجمالية التي تكشفها الموضوعات المختلفة عن الموضوع؟» ينبغي أن يوَّجه التحليل بهذه الأنواع من الأسئلة بمجرد أن تمتلك فهْما واضحا لخريطتك الموضوعاتية.

رابعا: مزالق على طريق التحليل الموضوعاتي

يُعَدُّ التحليل الموضوعاتي نوعا مباشرا نسبيا من التحليل الكيفي؛ لأنه لا يتطلب نفس المعرفة النظرية والتقنية التفصيلية التي تتطلبها مناهج أخرى كتحليل الخطاب وتحليل المحادثة. ومن اليسير، نسبيا، تحليل البيانات الكيفية تحليلا موضوعاتيا جيدا، حتى على طلاب التقنيات الكيفية في بداية تكوينهم. ومع ذلك، توجد أشياء قد يترتب عليها تحليل فقير، وفي هذا القسم نحدِّد هذه المزالق المحتملة، أملا في أن تُتجنب.

أول منزلق هو أن تفشل فعليا في تحليل البيانات مطلقا! فالتحليل الموضوعاتي ليس مجرد تشكيلة من المقتطفات المشدود بعضها إلى بعض، والمصحوبة بسرد تحليلي ضئيل أو منعدم حتى؛ لا وليس مقتطفات مختارة مصحوبة بتعليقات تحليلية تعيد صياغة محتواها ببساطة أو على نحو مبدأي. ذلك أن المقتطفات في التحليل الموضوعاتي هي توضيح وإثبات لفكرة point تحليلية عن البيانات يقول بها الباحث، وينبغي استعمال هذه المقتطفات لأغراض محدَّدة؛ أولا، توضيح/دعم تحليلٍ يتجاوز المحتوى المحدَّد للمقتطف إلى ما هو أعمق، وثانيا، جعل البيانات ذات معنى، وثالثا، إخبار القارئ بما تعنيه أو قد تعنيه - وقد تطرقنا لهذا الأمر آنفا.

يرتبط المنزلق الثاني باستعمال أسئلة جمع البيانات (كجدول المقابلة مثلاInterview Schedule) بوصفها «الموضوعات» التي يُكتب عنها التقرير. وفي مثل هذه الحالة، نقول إن الباحث لم ينجز أي عمل تحليلي لتعرُّف الموضوعات عَبْرَ مجموعة البيانات بأكملها، ولم يُسبغ أي معنى على نمط الاستجابات.

المنزلق الثالث، هو أن يكون التحليل ضعيفا أو غير مقنع؛ وهذا يحدث عندما يبدو أن الموضوعات لا تعمل، أو يوجد الكثير من التداخل بين الموضوعات، أو أن الموضوعات غير متماسكة وغير متسقة داخليا. ذلك أن ما ينبغي أن يكون هو أن تلتف جميع أبعاد الموضوعة حول فكرة أو مفهوم مركزي. وقد يقع الباحث في هذا المنزلق إن أخفق، بناء على ما يحاول التحليل القيام به، في التقاط غالبية البيانات بشكل كافٍ، أو أخفق في تقديم وصف/ تأويل غني لواحد أو أكثر من أبعاد البيانات. إضافة إلى ما سبق، قد ينبع التحليل الضعيف، أو غير المقنع، من الإخفاق في تقديم أمثلة كافية من البيانات - كأن يُكْتَفى بمقتطف واحد أو اثنين فقط من أجل موضوعة ما.

إن ما نطالب به هنا يتعلق أساسا ببلاغة العرض، والحاجة إلى أن يكون التحليل مقنعا لشخص لم يقرأ مجموعة البيانات بأكملها، ذلك أن ««تحليل» المادة... إبداع بارع من الباحث، ويجب أن يبنى لإقناع القارئ برجحان الحجة» (Foster and Parker, 1995: 204). وعند القيام بذلك، على المرء تجنب (ظهور) ما أشار إليه بريمان Bryman (1988) باسم «النزعة الحكائية» anecdotalism في البحث الكيفي - حيث تُجسَّد حالة، أو بضع حالات من ظاهرة ما في نمط أو موضوعة، مع أنها، في واقع الأمر، مجرد حالة متفردة idiosyncratic. إلا أن هذا لا يعني أن تقديم أمثلة قليلة معدوم الفائدة أو لا يكشف عن شيء؛ لأن المهم فعلا هو الاّ تُحرِّف الحالات المتفردة لتبدو كموضوعة شاملة.

يكمن المنزلق الرابع في غياب التوافق بين البيانات وما يقدَّم بشأنها من دعاوى تحليلية. وفي مثل هذا النوع من التحليل (الذي لا أساس له) لا يمكن دعم الدعاوى بالبيانات، أو، في أسوأ الحالات، تشير مقتطفات البيانات المقدمة إلى تحليل آخر أو حتى تتناقض مع الدعاوى المراد إثباتها. لهذا، على الباحث أن يَسْتَوثِق من أن تأويلاته وما تثبته تحليلاته يتوافق مع مقتطفات البيانات. زيادة على ما سبق، قد يبدو التحليل ضعيفا إذا لم يأخذ الباحث بالحسبان وجود قراءات أخرى بديلة واضحة للبيانات، أو أخفق في البصر بالتباين (وحتى التناقض) في الرواية التي يقدِّمها. وهنا، ينبغي أن نشير إلى أنه نادرا ما يكون النمط في البيانات- إن وجد- كاملا بنسبة 100٪ وخاليا من كل تناقض؛ لهذا، فالتحليل الذي يزعم هذا، دون أن يقدِّم تفسيرا شاملا، يكون عرضة للاتهام والريبة. ومن المهم أيضا، اختيار أمثلة مقنعة لإثبات وجود الموضوعات؛ لذلك، اعط هذا الأمر ما يستحقه من العناية.

يحتاج التحليل الموضوعاتي الجيد إلى التثبت من أن تأويلات البيانات تتوافق مع الإطار النظري، وإن حدث عدم تطابق بين النظرية والدعاوى التحليلية، أو بين أسئلة البحث وشكل التحليل الموضوعاتي المستعمل، فإننا نكون أمام المنزلق الخامس. لذلك، على سبيل المثال، إن كنت تعمل في إطار تجريبي، فالعادة ألّا تقدِّم دعاوى عن البناء الاجتماعي لموضوع البحث، وإن كنتَ تجري تحليلا موضوعاتيا بنائيا، فالعادة ألّا تعامِل حديث الناس عن تجاربهم كأنه نافذة شفافة على عالمهم. أخيرا، حتى التحليل الجيد والمثير للاهتمام الذي يخفق في إعلان افتراضاته النظرية بوضوح، أوْ لا يوضح كيفية اضطلاعه بها ولأي غرض، تُعْوِزه معلومات حاسمة (Holloway and Todres, 2003)، ومن ثَمَّ، لا يفي بأحد أبعاد التحليل الموضوعاتي الحيوية.

خامسا: ما الذي يخلق تحليلا موضوعاتيا جيدا؟

من الانتقادات الموجهة إلى البحوث الكيفية، من أولئك الذين هم خارج المجال، هو الانطباع بأن «كل شيء مقبول». على سبيل المثال، نجد صدى هذا الشعور في الجملة الأولى من ملخص لابوشاني Laubschagne (2003)، حيث يقول: إن «كثيرا من العلماء، مِمَّن اعتادوا إجراء دراسات كمية، يرون المفهوم الكامل للبحث الكيفي غير واضح، أو بَرّاني، أو خيالي airy fairy - وليس بحثا «حقيقيا»». ومع أن البحث الكيفي لا يمكن أن يخضع لنفس المعايير التي تخضع لها المقاربة «الكمية»، فإنه يوفِّر مناهج تحليل ينبغي تطبيقها بصرامة على البيانات. زد على ذلك، أنه توجد فعلا معايير لإجراء البحوث الكيفية الجيدة – على مستويي جمع البيانات وتحليلها (على سبيل المثال، Elliott et al., 1999; Parker, 2004; Seale, 1999; Silverman, 2000; Yardley, 2000). والجمعية النفسية البريطانية تقدِّم، على الإنترنت، إرشادات موجزة نسبيا لتقييم الجودة في البحث الكيفي (انظر: http:www.bps.org.uk-publications-journals-joop-qualitativeguidelines.cfm)، لكن وضع «معايير» لتقييم البحث الكيفي هو أمر مثير للجدل، وذلك لوجود مخاوف من أن تَحد المعايير الصارمة من حرية المنهج وتعيق تطوره (Elliott et al., 1999; Parker, 2004; Reicher, 2000). يأخذ ريتشر Reicher (2000) النقد إلى أبعد من هذا، ويسأل: هل يمكن، أو ينبغي، إخضاع النطاق المتنوع، تنوعا مذهلا، من المناهج الكيفية للمعايير نفسها؟

دعك من هذا الانتقاد الآن، واعلم أن القضايا المثارة بخصوص عدد من معايير تقييم البحث الكيفي يمكن، بهذا القدر أو ذاك، تطبيقها على الصور الموضوعاتية من التحليل. ونظرا إلى أن التحليل الموضوعاتي منهج مرن، فأنت بحاجة أيضا إلى أن تكون واضحا وصريحا بخصوص ما تفعله؛ فما تقول إنك تفعله ينبغي أن يتطابق مع ما تنجزه بالفعل. وبهذا المعنى، يجب تطبيق النظرية والمنهج بصرامة، و«الصرامة تكمن في وضع منهج نسقي تتوافق افتراضاته مع الطريقة التي يتصور بها conceptualizes المرء الموضوع المدروس» (Reicher and Taylor, 2005: 549). وسنوفر، في الجدول رقم (2)، قائمة مرجعية موجزة بالمعايير التي ينبغي لك مراعاتها في تحديد ما إذا كنت قد أنشأت تحليلا موضوعاتيا جيدا أم لا.

جدول 2 قائمة فحص من 15 نقطة تُعيِّن معايير التحليل الموضوعاتي الجيد

السيرورة	الرقم	المعيار
التفريغ	1	فُرِّغت البيانات بقدر مناسب من التفاصيل، والنصوص المفرَّغة كتابة قوبلت بالأشرطة المسجلة للتثبت من«دقتها».
الترميز	2	حظي كل عنصر بيانات باهتمام متساو في عملية الترميز.
	3	الموضوعات لم تولَّد من أمثلة حية قلية (مقاربة حكائية)، وإنما من عملية ترميز شاملة وجامعة.
التحليل	4	تَمَّ جمع كل المقتطفات ذات الصلة بكل موضوعة.
	5	الموضوعات جميعها فُحصت أولا مقابل بعضها بعضا، وثانيا بالعودة إلى مجموعة البيانات الأصلية.
	6	الموضوعات متماسكة ومتسقة داخليا ومتمايزة [خارجيا].
	7	الموضوعات حُللت وأُوِّلت ولها معنى، ولم يُقتصر على إعادة صياغتها أو وصفها.
	8	التحليل والبيانات – توضِّح المقتطفات الدعاوى التحليلية.matchيتوافق
	9	يروي التحليل قصة مقنعة ومنظَّمة جيدا عن البيانات والموضوع.
	10	يقوم توازن جيد بين السرد التحليلي والمقتطفات التوضيحية المقدَّمة.
الإجمال	11	خُصص وقت كاف لاستكمال جميع مراحل التحليل على نحو ملائم، دون تسرع في مرحلة من المراحل أو تعجل تقديمها دفعة واحدة.
	12	الافتراضات عن التحليل الموضوعاتي والمقاربات المحدَّدة مفسَّرة بوضوح.
كتابة التقرير	13	يوجد تناسب جيد بين ما تدعي أنك فعلته وما تُظهر أنك فعلته حقا، أي أن المنهج الموصوف والتحليل المقدم متوافقان.
	14	تتوافق اللغة والمفاهيم المستخدمة في التقرير مع الموقف الإبستمولوجي للتحليل.
	15	يتخذ الباحث دور الفاعل في سيرورة البحث، والموضوعات لا تنبثق وحسب.

سادسا: إذن، ما الذي يقدمه التحليل الموضوعاتي لعلماء النفس؟

نختم الآن هذه المقالة بتعليقات موجزة عن مزايا التحليل الموضوعاتي وعيوبه. لقد أظهرنا في جميع أنحاء هذه المقالة أن التحليل الموضوعاتي ليس منهجا معقدا، وكما ترون في الجدول رقم (3) فإن مزاياه كثيرة. ومع ذلك، لا يخلو من عيوب، وسنتحدث عنها الآن بإيجاز. بداية، يرجع العديد من العيوب إلى التحليلات التي تُجرى إجراء سيئا، أو الأسئلة البحثية غير الملائمة، أكثر من رجوعها إلى المنهج نفسه. زيادة على ذلك، فإن مرونة المنهج - التي تسمح بمجموعة واسعة من الخيارات التحليلية - تعني أن النطاق المحتمل لِـما يمكن قوله عن بياناتك واسع، ومع أن هذا يُعَدُّ ميزة، فإنه قد يكون عيبا؛ لأنه يُصعِّب وضع إرشادات محدَّدة للتحليل في مراحله العليا، وقد يَشُلُ محاولة الباحث تحديد أي جوانب بياناته يستحق التركيز عليه. وهناك مسألة أخرى يجب مراعاتها، وهي أن القدرة التأويلية للتحليل الموضوعاتي على تجاوز مستوى الوصف محدودة، وذلك ما لم يُستعمل ضِمْنَ إطار نظري قائم ترسو فيه الادعاءات التحليلية المقدمة.

جدول 3 مزايا التحليل الموضوعاتي

المرونة.
منهج مُيَّسر وسريع نسبيا للتعلم والفعل.
قريب المنال من الباحثين ذوي الخبرة القليلة أو المعدومة في البحث الكيفي.
النتائج المتوصل إليها مبذولة عموما لجمهور المتعلمين كافة.
منهج مفيد للعمل في إطار باراديغم بحث تشاركي، أي مع المشاركين من حيث هم متعاونون وشركاء.
يمكن أن يلخِّص، تلخيصا مفيدا، الميزات الرئيسة لكمٍّ كبير من البيانات، و/ أو تقديم «وصف تفصيلي» لمجموعة البيانات.
يمكن أن يُسلِّط الضوء على أوجه التشابه والاختلاف الحاضرة عَبْرَ مجموعة البيانات.
يمكن أن يوَّلِد استبصارات غير متوقعة.
يتيح تأويل البيانات اجتماعيا ونفسيا.
يمكن أن يكون مفيدا لإنتاج تحليلات كيفية مناسبة لإرشاد تطوير السياسات.

تَظهر عيوب أخرى عندما يُنظر إلى التحليل الموضوعاتي في علاقته ببعض المناهج التحليلية الكيفية الأخرى. فعلى سبيل المثال، وخلافا للسرد وغيره من مناهج السيرة الذاتية، لن تكون قادرا على الاحتفاظ بكل من الاستمرارية والتناقض في أي رواية مفردة، مع أن هذه التناقضات والاتساقات قد تتجلى عَبْرَ الروايات الفردية*[25]. وخلافا للمناهج المشابهة لـتحليل الخطاب وتحليل المحادثة، لا يتيح تحليل موضوعاتي بسيط للباحث تقديم ادعاءات تخص استعمال اللغة، أو الوظيفة الدقيقة للحديث.

أخيرا، تجدر الإشارة إلى أن التحليل الموضوعاتي لا يملك حاليا صيتا خاصا يمجِّده بوصفه منهجا تحليليا – وسبب هذا، في ما نرى، يرجع إلى أنه ادُّعي ورسِّمت حدوده على نحو سيئ، ومع ذلك، شاع استعماله على نطاق واسع. وهذا يعني أن التحليل الموضوعاتي كثيرا ما يكون، أو يبدو، هو ما يتعاطاه كل من يفتقر إلى المعرفة أو المهارات الكافية التي تتيح له إجراء تحليلات أخرى يُفترض أنها أكثر تعقيدا - وبالتأكيد أكثر شهرة ومجدا - ولها علامة تجارية مميزة، مثل النظرية المجذَّرة والتحليل الظاهراتي التأويلي وتحليل الخطاب. ونأمل أن تغير هذه المقالة هذا المنظور، فنحن نرى أن مقاربة موضوعاتية صارمة يمكن أن تُنتج تحليلا مستبصِرا يجيب عن أسئلة بحثية معينة. ويبقى المهم في الأمر هو اختيار منهج مناسب لسؤال بحثك، بدلا من الوقوع في أسر «التبعية المنهجية»، methodolatry حيث تلتزم المنهج بدلا من الموضوع/المحتوى وأسئلة البحث (Holloway and Todres, 2003). في الواقع، يجب أن يكون منهج تحليلك موجَّها بسؤال بحثك وافتراضاتك النظرية الأوسع، وكما أوضحنا آنفا، يُعَدُّ التحليل الموضوعاتي مقاربة مرنة، يمكن استعمالها عَبْرَ مجموعة من الإبستمولوجيات والأسئلة البحثية.

25* المقاربات القائمة على السرد أو السيرة الذاتية تسمح بتقديم وصف أكثر تفصيلا لتجربة الأفراد، وتجمع بين الاستمرارية في الأحداث والتناقضات التي تعبر عنها حكايات الأفراد، أما التحليل الموضوعاتي فإنه أشد ميلا إلى استكشاف الأنماط والتكرارات الحاضرة عبر حكايات هؤلاء الأفراد.

المراجع

Antaki, C., Billig, M., Edwards, D. and Potter, J.2002 : Discourse analysis means doing analysis: a critique of six analytic shortcomings. DAOL Discourse Analysis Online [electronic version], 1(1).

Aronson, J. 1994: A pragmatic view of thematic analysis. Qualitative Report 2(1).

Atkinson, J.M. and Heritage, J. 1984: Structures of social action: studies in conversation analysis. Cambridge University Press.

Attride-Stirling, J. 2001: Thematic networks: an analytic tool for qualitative research. Qualitative Research 1, 385-405

Bird, C.M. 2005: How I stopped dreading and learned to love transcription. Qualitative Inquiry 11, 226-48

Boyatzis, R.E. 1998: Transforming qualitative information: thematic analysis and code development. Sage.

Braun, V. 2005a: In search of (better) female sexual pleasure: female genital 'cosmetic' surgery. Sexualities 8, 407-24

Braun, V. 2005b: Selling the perfect vulva. Manuscript under submission.

Braun, V. and Kitzinger, C. 2001: The perfectible vagina: size matters. Culture Health & Sexuality 3, 263-77

Braun, V. and Wilkinson, S. 2003: Liability or asset? Women talk about the vagina. Psychology of Women Section Review 5, 28-42

Braun, V., Gavey, N. and McPhillips, K. 2003: The 'fair deal?' Unpacking accounts of reciprocity in heterosex. Sexualities 6, 237-61

Bryman, A. 1988: Quantity and quality in social research. Routledge.

Bryman, A. 2001: Social research methods. Oxford University Press.

Burman, E. and Parker, I., editors, 1993: Discourse analytic research: repertoires and readings of texts in action. Routledge.

Burr, V. 1995: An introduction to social constructionism. Routledge.

Charmaz, K. 2002: Qualitative interviewing and grounded theory analysis. In Gubrium, J.F. and Holstein J.A., editors, Handbook of interview research: context and method. Sage, 675-94

Clarke, V. 2005: 'We're all very liberal in our views': Students' talk about lesbian and gay parenting. Lesbian and Gay Psychology Review 6, 2-15

Clarke, V. and Kitzinger, C. 2004: Lesbian and gay parents on talk shows: resistance or collusion in heterosexism. Qualitative Research in Psychology 1, 195-217

Clarke, V., Burns, M. and Burgoyne, C. 2006: 'Who would take whose name?' An exploratory study of naming practices in same-sex relationships. Manuscript under submission.

Dey, I. 1993: Qualitative data analysis: a user-friendly guide for social scientists. Routledge.

Edwards, J.A. 1993: Principles and contrasting systems of discourse transcription. In Edwards, J.A. and Lampert, M.D., editors, Talking data: transcription and coding in discourse research. Lawrence Erlbaum Associates, 3-31

Edwards, J.A. and Lampert, M.D., editors, 1993: Talking data: transcription and coding in discourse research. Lawrence Erlbaum Associates.

Elliott, R., Fischer, C.T. and Rennie, D.L. 1999: Evolving guidelines for publication of qualitative research studies in psychology and related fields. British Journal of Clinical Psychology 38, 215-29

Ellis, S.J. and Kitzinger, C. 2002: Denying equality: an analysis of arguments against lowering the age of consent for sex between men. Journal of Community and Applied Social Psychology 12, 167-80

Ely, M., Vinz, R., Downing, M. and Anzul, M. 1997: On writing qualitative research: living by words. Routledge-Falmer.

Fine, M. 2002: Disruptive voices: the possibilities for feminist research. University of Michigan Press.

Foster, J.J. and Parker, I. 1995: Carrying out investigations in psychology: methods and statistics. BPS Books.

Frith, H. and Gleeson, K. 2004: Clothing and embodiment: men managing body image and appearance. Psychology of Men and Masculinity 5, 40-48.

Glaser, B. 1992: Basics of grounded theory analysis. Sociology Press. Hayes, N. 1997: Theory-led thematic analysis: social identification in small companies. In Hayes, N., editor, Doing qualitative analysis in psychology. Psychology Press.

Holloway, I. and Todres, L. 2003: The status of method: flexibility, consistency and coherence. Qualitative Research 3, 345-57

Hollway, W. 1989: Subjectivity and method in psychology: gender, meaning and science. Sage.

Hollway, W. and Jefferson, T. 2000: Doing qualitative research differently: free association, narrative and the interview method. Sage.

Hutchby, I. and Wooffitt, R. 1998: Conversation analysis: principles, practices and applications. Polity Press.

Kelle, U. 2004: Computer-assisted analysis of qualitative data. In Flick, U., von Kardorff, E. and Steinke, I., editors, A companion to qualitative research. Sage, 276-83

Kitzinger, C. and Willmott, J. 2002: 'The thief of womanhood': women's experience of polycystic ovarian syndrome. Social Science & Medicine 54, 349-61

Lapadat, J.C. and Lindsay, A.C. 1999: Transcription in research and practice: from standardization of technique to interpretive positionings. Qualitative Inquiry 5, 64-86

Laubschagne, A. 2003: Qualitative research - airy fairy or fundamental? Qualitative Report [electronic version], 8(1).

McLeod, J. 2001: Qualitative research in counselling and psychotherapy. Sage.

Meehan, T., Vermeer, C. and Windsor, C. 2000: Patients' perceptions of seclusion: a qualitative investigation. Journal of Advanced Nursing 31, 370-77

Miles, M.B. and Huberman, A.M. 1994: Qualitative data analysis: an expanded sourcebook, second edition. Sage.

Murray, M. 2003: Narrative psychology. In Smith, J.A., editor, Qualitative psychology: a practical guide to research methods. Sage, 111-31

Parker, I. 2004: Criteria for qualitative research in psychology. Qualitative Research in Psychology 1, 95-106

Patton, M.Q. 1990: Qualitative evaluation and research methods, second edition. Sage.

Poland, B.D. 2002: Transcription quality. In Gubrium, J.F. and Holstein, J.A., editors, Handbook of interview research: context and method. Sage, 629-49

Potter, J. 1997: Discourse analysis as a way of analysing naturally occurring talk. In Silverman, D., editor, Qualitative research: theory, method and practice. Sage, 144-60

Potter, J. and Wetherell, M. 1987: Discourse and social psychology: beyond attitudes and behaviour. Sage.

Reicher, S. 2000: Against methodolatry: some comments on Elliott, Fischer, and Rennie. British Journal of Clinical Psychology 39, 1- 6

Reicher, S. and Taylor, S. 2005: Similarities and differences between traditions. Psychologist 18, 547-49

Riessman, C.K. 1993: Narrative analysis. Sage.

Roulston, K. 2001: Data analysis and 'theorizing as ideology'. Qualitative Research 1, 279- 302

Rubin, H.J. and Rubin, I.S. 1995: Qualitative interviewing: the art of hearing data. Sage.

Ryan, G.W. and Bernard, H.R. 2000: Data management and analysis methods. In Denzin, N.K. and Lincoln, Y.S., editors, Handbook of qualitative research, second edition. Sage, 769-802

Seale, C. 1999: The quality of qualitative research. Sage.

Seale, C. 2000: Using computers to analyse qualitative data. In Silverman, D., Doing qualitative research: a practical handbook. Sage, 155-74

Silverman, D., editor 2000: Doing qualitative research: a practical handbook. Sage.

Singer, D. and Hunter, M. 1999: The experience of premature menopause: a thematic discourse analysis. Journal of Reproductive and Infant Psychology 17, 63-81

Smith, J.A. and Osborn, M. 2003: Interpretative phenomenological analysis. In Smith, J.A., editor, Qualitative psychology: a practical guide to methods. Sage.

Smith, J.A., Jarman, M. and Osborn, M. 1999: Doing interpretative phenomenological analysis. In Murray, M. and Chamberlain, M.M.K., editors, Qualitative health psychology: theories and methods. Sage.

Stenner, P. 1993: Discoursing jealousy. In Burman, E. and Parker, I., editors, Discourse analytic research: repertoires and readings of texts in action. Routledge, 94- 132.

Strauss, A. and Corbin, J. 1998: Basics of qualitative research: techniques and procedures for developing grounded theory. Sage.

Taylor, G.W. and Ussher, J.M. 2001: Making sense of S&M: a discourse analytic account. Sexualities 4, 293-314

Toerien, M. and Wilkinson, S. 2004: Exploring the depilation norm: a qualitative questionnaire study of women's body hair removal. Qualitative Research in Psychology 1, 69- 92

Tuckett, A.G. 2005: Applying thematic analysis theory to practice: a researcher's experience. Contemporary Nurse 19, 75-87

Ussher, J.M. and Mooney-Somers, J. 2000: Negotiating desire and sexual subjectivity: narratives of young lesbian avengers. Sexualities 3, 183-200

Widdicombe, S. and Wooffitt, R. 1995: The language of youth subcultures: social identity in action. Harvester Wheatsheaf.

Wilkinson, S. 2000: Women with breast cancer talking causes: comparing content, biographical and discursive analyses. Feminism & Psychology 10, 431-60

Willig, C. 1999: Beyond appearances: a critical realist approach to social constructionism. In Nightingale, D.J. and Cromby J., editors, Social constructionist psychology: a critical analysis of theory and practice. Open University Press, 37-51

Willig, C. 2003: Discourse analysis. In Smith, J.A., editor, Qualitative psychology: a practical guide to research methods. Sage, 159- 83

Yardley, L. 2000: Dilemmas in qualitative health research. Psychology and Health 15,215- 28

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com

